الإخلاص والنية الصادقة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

٢٤٦

المملكة الأردنية الهاشمية

❖ رقم الأيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٩/٥/٢٠١١)

❖ الكسواني، ناصر صبرة

❖ الإخلاص والنية الصادقة في الكتاب والسنة واقوال علماء الأمة/ ناصر صبره الكسواني .

❖ عدد الصفحات (١٩٢) .

❖ تصميم الغلاف / محمد خضير .

❖ ر.أ.: ٢٠٠٩/٥/٢٠١١ .

❖ الواصفات : / الايمان// الاسلام//

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

حقوق الطبع محفوظة. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته الى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من دار الفاروق.

دار الفاروق

للنشر والتوزيع

عمان – العبدلي – عمارة جوهرة القدس

E- mail: daralfarouq@yahoo.com

دار الفاروق

الإخلاص والنية الصادقة

في الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة

تأليف الدكتور

ناصِر صَبْرَه الكسْواني

دار الفاروق

عمان - الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى كل مؤمن مُتَرَفّع عن حُطام الدنيا وحظوظ النفس

إلى كل عاملٍ لدين الله تعالى اتخذ الإخلاص رائده

إلى شهداء الأمة الذين قضوا مخلصين لله على ثرى ديار الإسلام

إلى العلماء الربانيّين الذين يصنعون أجيال الإيمان ليكونوا مشاعل الهداية للبشرية جمعاء

أهدي هذا الكتاب

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ للهَّ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونَستَهدِيه، مَنْ يَهْدِهِ اللهُّ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ[1]، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه محاولة لاستجلاء وتأصيل قيمة من القيم الإسلامية العظيمة وعبادة من عبادات القلوب قد غابت أو يراد لها أن تغيب عن واقع الناس؛ هذه القيمة هي الإخلاص لله ﷻ والصدق في النية.

وإذا الكلام حول هذه القيمة -على الرغم من كثرة ما قيل فيها- ما يزال حياً متجدداً، وخاصة في زمن العولمة وهجمتها على الفكر المسلم والتي تريد أن تجعله يدور في فلك المادية؛ هذه المادية التي تقوِّم نجاح الأشخاص وفلاحهم لا على ميزان الله ﷻ الذي أساسه التقوى، وإنما تقوِّم ذلك النجاح والفلاح بناءً على أحد أساسين أو كلاهما:

---

(١) هذا المقطع جزء من خطبة الحاجة التي كان يفتتح بها النبي ﷺ خطبه؛ لذا أحببت أن يكون الافتتاح بها، وقد وردت هذه الخطبة المباركة بأسانيد صحيحة عن ستة من الصحابة ﷺ، والحديث أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٨٦٧). وأبو داود، **السنن**، رقم (١٠٩٧). والنسائي، **السنن**، رقم (٣٢٧٧). وابن ماجه، **السنن**، رقم (١٨٩٢).

الشهرة والمال؛ لذلك كان لا بد من حديثٍ مطولٍ يتضمن وقفات تشكل جرعة المناعة في وجه تلك الهجمة التي يراد لها أن تشوه تفكير المسلم وتحوله إلى مسخ لا يعرف من دينه إلا رسمه، ولا يتبنى منه إلا ما انسجم مع تلك الأفكار الدخيلة والمبادئ الواهية.

وهذه هي طبيعة القيم والأخلاق في المنهج الإسلامي، فهي ليست صدى لَمَّات عاطفية تلم بالقلب في أحوال شعورية تزول مع زوال تلك الأحوال وانقضاء تلك المشاعر؛ بل هي نتاج تصورات وأفكار يوجهها العقل وتدفع بها العاطفة، فتظهر على من حملها بالرصانة والدفيء الذي يجب أن تتصف به الشخصية المسلمة.

ولقد كانت الكتابة في هذا الموضوع طموحاً راود صاحب هذا الكتاب منذ نعومة أظفاره، وما ذلك إلا لشعوره بمدى حاجته وحاجة كل مسلم إلى الكلام فيه.

وقد رافق ذلك نيات استحضرها المؤلف أثناء تأليفه، وأهداف أخرى رافقت رقمه؛ كان منها محاولته الاقتداء بسلف الأمة وعلمائها السابقين الذين كانوا يفتتحون كتبهم بحديث النيات الداعي إلى الإخلاص، وكذلك محاولته الاقتداء بفقهائنا العظام الذين كانوا يقدمون في كتبهم (كتاب الطهارة) تذكيراً منهم بطهارة القلب قبل طهارة الجسد والثياب، فجعل المؤلف هذا الكتاب أول ما يصدر له داعياً نفسه والمسلمين إلى طهارة القلوب وإخلاص القصد لله ﷻ.

وإذا كانت هذه غاية المؤلف من وراء جعل هذا الكتاب أوَّل إصداراته فإنَّه جعل هدفه العام منه بعد مرضاة الله ﷻ ورجاء أن يبقى أيضاً صدقةً جارية له بعد مماته أن يضع مرجعاً للعاملين لهذا الدين ولطلاب العلم في علمٍ من علوم القلوب

وعمل من أعمالها وهو الإخلاص؛ يكون هذا المرجع مبنياً على أصول علمية شرعية صحيحة، ويتسم بالسهولة واليسر، ويجمع أيضاً شتات ما توزّع من شذرات هذا العلم في بطون الكتب وما سطره أهل العلم وما قاله الحكماء والعُبَّاد.

ولقد سبق هذا المؤلَف مؤلفات عدة بحثت هذا الموضوع في القديم والحديث، ولأجل ذلك حرص الباحث على أن يكون في هذا الكتاب شيء جديد، وسيلمس القارئ أنَّ هذا الجديد قد جاء في المنهج، فالباحث حاول الابتعاد -قدر المستطاع- عن أن يحصر فكره أو أن يقولب نفسه في أي قالب من قوالب التفكير التي تؤطر طلاب العلم في هذه الأيام، فتجعلهم يدورون في فلك اتجاه معين مغفلين ما عند المخالفين، فيضيعون بذلك الخير الكثير؛ لذا جاء هذا الكتاب -ولله الحمد- ليحلق في أفق رحب يجمع بين التراث والمعاصر، وبين التأصيل العلمي وبين الوعظ، ويجمع الرأي الحق مهما طاب للناس أن يصنفوا صاحبه، وجعلت المرجعة في معرفة ذاك الحق مرجعية الأمّة المتمثلة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ وسيرة السلف الصالح وفق المنهج السديد الذي سار عليه علماء الأمّة في تلقي العلم وتلقينه.

وقبل أن نشرع في مقصود الكتاب لا بد لي من كلمة شكر لكل من أعان على إصدار هذا الجهد وإخراجه للناس.

الدكتور ناصر يونس صبره الكسواني

عمّان-الأردن

المبحث الأول
معنى الإخلاص والنية

من ضروريات البحث العلمي التعريف بمفردات عنوان البحث؛ لأجل ذلك سيسلط الباحث الضوء في هذا المبحث على أصل كلمة الإخلاص ومعناها في اللغة واستعمالاتها فيها، ثم يُثنى ببيان أقوال أهل العلم في المراد بالإخلاص، وزيادة في الفائدة نفرق بين مصطلح الإخلاص وبعض المصطلحات الشرعية ذات العلاقة والصلة.

أولاً- تعريف الإخلاص

أ- في اللغة

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) -رحمه الله-: "الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه، يقولون: خلصته من كذا، وخلص هو، وخُلاصة السمن ما ألقي فيه من تمر أو سويق ليخلص به"[(١)].

ويقول الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) -رحمه الله-: "الخالص كالصافي إلاّ أنَّ الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه"[(٢)].

---

(١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٢ ص٢٠٨.

(٢) الراغب، **المفردات**، ص٢٩٢.

وقال الرازي صاحب مختار الصحاح (ت ٦٦٦هـ) -رحمه الله-: "خَلَصَ الشيء صار خالصاً، وبابه دَخَلَ، وخَلَصَ إليه الشيء وصل، وخلصه من كذا تخليصاً؛ أي نجاه فتخلص، وخُلاصة السمن بالضم ما خلص منه، وكذا خِلاصته بالكسر، وأخلص السمن طبخه، والإخلاص في الطاعة ترك الرياء، وقد أخلص لله الدين، وخالصه في العِشرة صافاه، وهذا الشيء خالصة لك؛ أي خاصة، واستخلصه لنفسه استخصه"(١).

وكذلك جاء في المعجم الوسيط: "خَلَص خلوصاً وخلاصاً، صفا وزال عنه شوبه...، والإخلاص كلمة الإخلاص كلمة التوحيد..."(٢).

ولأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)-رحمه الله- كلمة توضح معنى الإخلاص في اللغة؛ حيث قال: "اعلم أنَّ كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصاً، ويسمى الفعل المخلص: إخلاصاً؛ قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [سورة النحل:٦٦]، فإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الدم والفرث، ومن كل

---

(١) الرازي، **مختار الصحاح**، ص٧٧.

(٢) مجمع اللغة، **المعجم الوسيط**، ج١ ص٢٤٨-٢٤٩.

ما يمكن أن يمتزج به"[1].

مما سبق يظهر لنا أنَّ كلمة الإخلاص تدور حول معنى الصفاء والبعد عن الشوائب والمكدرات؛ ولعله قد استقر في اللغة أنَّه إذا ارتبط الإخلاص بالمعاني الدينية يراد به ضد الرياء؛ لذلك قال الشريف الجُرجاني (ت ٨١٦هـ) -رحمه الله- في التعريفات: "الإخلاص في اللغة ترك الرياء"[2].

بـ تعريف الإخلاص في الاصطلاح

للعلماء تعريفات عدة للإخلاص، نسوق بعضاً منها حسب أهميته، فقد عرَّفه أبو القاسم القشيري -رحمه الله- (ت ٤٦٥هـ) بقوله: "الإخلاص إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد، وهو أنَّه يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون أيِّ شيءٍ آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب به إلى الله تعالى، ويصح أن يقال: الإخلاص تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين"[3].

وقال العز بن عبد السلام (ت ٦٠٦هـ) -رحمه الله-: "الإخلاص أن يفعل

---

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٤ ص٣٧٩.

(٢) الجرجاني، **التعريفات**، ص٢٨.

(٣) القشيري، **الرسالة القشيرية**، ص٢٤٢.

المكلف الطاعة خالصة لله وحده، ولا يريد بها تعظيماً من الناس، ولا جلب نفع ديني، ولا دفع ضرر دنيوي"[1].

ويعرفه الإمام الهروي (ت ٤٨١هـ) -رحمه الله- في رسالته (منازل السائرين) بقوله: "هو تصفية العمل من كل شَوب".

ويشرح ابن القيم (ت ٧٥١هـ) هذا التعريف في كتابه (مدارج السالكين) الذي شرح فيه رسالة الهروي منازل السائرين فيقول -رحمه الله-: "أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفوس؛ إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم وقضائهم حوائجه أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عقد متفرقاتها هو إرادة ما سوى الله بعمله كائناً ما كان"[2].

وقال شارح العقيدة الطحاوية: "الإخلاص خلوص القلب عن تأليه ما سوى الله تعالى وإرادته ومحبته"[3].

وقال الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)-رحمه الله-: "الإخلاص هو القصد بالعبادة أن

---

(١) العز بن عبد السلام، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، ج١ ص١٢٣.

(٢) ابن القيم، **مدارج السالكين**، ج٢ ص٩٦.

(٣) ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية** (تحقيق: أحمد شاكر)، ص٤٤٤.

يعبد المعبود بها وحده، وقيل: تصفية السر والقول والعمل"[1].

وأورد ابن القيم إضافة لشرحه لتعريف الهروي السابق مجموعة من تعريفات أهل العلم والسلف للإخلاص كان منها قول الفضيل بن عياض (ت ١٨٧هـ) -رحمه الله-: "ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص الخلاص من هذين"، وفي رواية عنه: "والإخلاص أن يعافيك الله منهما"[2].

ومنها أيضاً قول أبي عثمان سعيد بن عثمان (ت ١٠٤هـ) -رحمه الله-: "صدق الإخلاص نسيان رؤية الخلق لدوام النظر إلى الخالق، والإخلاص أن تريد بقلبك، وبعملك وعلمك وفعلك رضا الله تعالى؛ خوفاً من سخط الله، كأنك تراه بحقيقة علمك بأنه يراك حتى يذهب الرياء عن قلبك، ثم تذكر مِنَة الله عليك إذ وفقك لذلك العمل حتى يذهب العُجب من قلبك، وتستعمل الرفق في عملك حتى تذهب العجلة من قلبك..."[3].

وساق غيرها، ثم قال -رحمه الله-: "قد تنوعت عبارتهم في الإخلاص والصدق، والقصدُ واحد، فقيل: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة، وقيل:

---

(١) الكفوي، **الكليات**، ص٦٤.

(٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٨ ص٤٢٧. وابن القيم، **مدارج السالكين**، ج٢ ص٩٥.

(٣) البيهقي، **شعب الإيمان**، ج٥ ص٣٤٨.

تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.."[1].

والأمر كما قال -رحمه الله-؛ إذ يظهر لنا مما سبق أنَّ الإخلاص يقصد بـه إرادة وجه الله تعالى بالعمل، وتخليص نية العبد من أية شائبة سواءً إرادة عرض من حطام الدنيا أو إرادة الشهرة أو مدح الناس ورضاهم وغير ذلك من مرادات الخلق غير الله تعالى، وتوجيه النية والقصد لطلب ما عند الله وابتغاء وجه الله مصداقاً لقوله تعـالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ويبدو من خلال النظر في كتب أهل العلم أنَّ هـذا المعنـى للإخـلاص معنـى خاص، وأنَّ هناك معنى آخر أعم منه، فمـن خـلال بعـض النـصوص مـن القـرآن والسنة يظهر أنَّه يفهم من الإخلاص المعنى المضاد لمفهوم الشرك سواء الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر؛ لذلك سميت كلمة التوحيد "لا إله إلاّ الله" بكلمة الإخلاص.

وفي هذا الكتـاب لا نتحـدث عـن المفهـوم العـام؛ بـل نقـصد الحـديث عـن الإخلاص بمفهومه الخاص؛ بمعنى آخر أننا نتحدث عن مـضاد الـشرك الأصـغر، ولا نتحدث عن الشرك الأكبر؛ كما سيأتي توضيح الفرق بينهما.

---

(١) ابن القيم، **مدارج السالكين**، ج٢ ص٩٥.

ثانياً ـ تعريف النية

أ ـ النية في اللغة

جاء في المعجم الوسيط في بيان معنى النية أنَّها: "توجه النفس نحو العمل، ويقال فلان نيتي؛ أي قصدي. والحاجة والبعد والمكان الذي ينوي المسافر إليه قريباً كان أو بعيداً، ويقال شطت بهم نية قذف رحلة بعيدة"(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) -رحمه الله-: "لفظ النية في كلام العرب من جنس لفظ القصد والإرادة ونحو ذلك؛ تقول العرب: نواك الله بخير؛ أي أرادك بخير، ويقولون: نوى منويه، وهو المكان الذي ينويه يسمونه نوى، والنية يعبر بها عن نوع من إرادة، ويعبر بها عن نفس المراد؛ لكن من الناس من يقول: إنَّها أخص من الإرادة، فإنَّ إرادة الإنسان تتعلق بعمله وعمل غيره، والنية لا تكون إلاّ بعمله"(٢).

وقد يراد بالنية في اللغة: العزم؛ يقول صاحب المصباح المنير: "خصت النية في غالب الاستعمال بعزم القلب على أمر من الأمور"(٣).

ويقول صاحب اللسان: "نويت نية ونواة؛ أي عزمت، وانتويت مثله"(٤).

---

(١) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ج٢ ص٩٦٦.

(٢) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١٨ ص٢٥١-٢٥٢ باختصار.

(٣) الفيومي، **المصباح المنير**، ج٢ ص٦٣٢.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٦ ص٤٥٨٨-٤٥٨٩. وانظر: الأشقر، **النيات في العبادات**، ص٢٢.

ب- النية في الاصطلاح

يقول ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) -رحمه الله- ما ملخصه: "النية في كلام العلماء تقع بمعنيين:

أحدهما- تمييز العبادات بعضها عن بعض؛ كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر.

والمعنى الثاني- بمعنى تمييز المقصود بالعمل، وهل هو الله وحده لا شريك له أم الله وغيره؟ وهذه النية التي يتكلم بها العارفون في كتبهم في كلامهم على الإخلاص وتوابعه، وهي التي توجد كثيراً في كلام السلف المتقدمين...، وهي النية التي يتكرر ذكرها في كلام النبي ﷺ بلفظ النية، وتارة بلفظ الإرادة، وتارة بلفظ مقارب لذلك.

وقد جاء ذكرها كثيراً في كتاب الله ﷻ بغير لفظ النية أيضاً من الألفاظ المقاربة لها، ولذلك يعبر عنها بلفظ الإرادة في القرآن كثيراً؛ كما في قوله تعالى: ﴿ **مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ** ﴾ [سورة آل عمران:١٥٢]، وقد يعبر عنها بلفظ الابتغاء؛ كما في قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ** ﴾ [سورة الليل:٢٠].

وأما ما ورد في السنة وكلام السلف من تسمية هذا المعنى بالنية فكثير جداً؛ نذكر بعضاً من ذلك فقد روى عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ غَزَا**

والقرضاوي، **النية والإخلاص**، ص٢٣ وما بعدها.

في سَبيل الله، وَلم ينْوِ إلاّ عِقَالاَ، فَله ما نَوى»[1]"[2].

ويعرِّف ابن القيم النية بأنها القصد؛ لكنه يرى فرقاً بينهما، فيقول -رحمه الله-: "النية هي القصد بعينه، ولكن بينها وبين القصد فرقان:

أحدهما- أنَّ القصد معلق بفعل الفاعل نفسه وبفعل غيره، والنية لا تتعلق إلاّ بفعله نفسه، فلا يتصور أن ينوي الرجل فعل غيره، ويتصور أن يقصده ويريده.

الفرق الثاني- أنَّ القصد لا يكون إلاّ بفعل مقدور بقصده الفاعل، وأما النية فينوي الإنسان ما يقدر عليه وما يعجز عنه"[3].

ويرى -رحمه الله- أنَّ القصد والإرادة كلاهما يلتقيان بأنهما لا يتعلقان بالمعجوز عنه لا من فعل الفاعل ولا من فعل غيره[4].

وعليه فالنية أعم من القصد من جهة وأخص منه من جهة أخرى، فعلى الفرق الأول هي أخص؛ لأنَّها متعلقة بفعل الفاعل نفسه، أما القصد فأعم؛ إذ تعلقه بفعل الفاعل وبفعل غيره.

---

(١) أخرجه النسائي، **السنن**، رقم (٣١٣٨). وهو حديث حسن.

(٢) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص ١٢-١٣. وانظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١٨ ص٢٥٦-٢٦١.

(٣) ابن القيم، **بدائع الفوائد**، ج٢ ص١٩٨. يلاحظ أن ابن القيم استفاد من شيخه ابن تيمية -رحمهما الله-.

(٤) ابن القيم، **بدائع الفوائد**، ج٢ ص١٩٩.

وعلى الفرق الثاني النية أعم؛ إذ ينوي المرء ما يقدر عليه وما يعجز عنه؛ أما القصد فأخص؛ إذ هو لا يكون إلاّ فعل مقدور يقصده الفاعل.

ويذكر ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) -رحمه الله- في الفتح أنَّ البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) -رحمه الله- عرَّف النية بقوله: "النية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقاً لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالاً أو مآلاً"[١].

ثالثاً- علاقة النية بالإخلاص

مما سبق تظهر العلاقة بين النية والإخلاص، فالنية هي القصد والانبعاث القلبي من غير تحديد الوجهة، فإذا تحددت الوجهة نحو الله ولم تَشبها شائبة كان ذلك إخلاصاً، ومن أهل العلم من رأى أنَّ النية هي الإخلاص نفسه بسبب هذه العلاقة، وبسبب أنَّ انبعاث قلب المؤمن وقصده لا يكون إلاّ لله، وذلك هو الإخلاص؛ قال ابن مفلح (ت ٥٥٤هـ) صاحب الفروع في فقه الحنابلة: "الإخلاص من عمل القلب، وهو النية"[٢].

وخالفهم آخرون بسبب هذا الفرق الذي كان الْمَجمع بين الكلمتين عند الأولين[٣]، والخطب يسير -والله أعلم-.

---

(١) ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج١ ص١٩.

(٢) ابن مفلح، **الفروع**، ج١ ص١١١.

(٣) انظر: الأشقر، **النيات في العبادات**، ص٢٩-٣٠.

رابعاً- الإخلاص والإحسان

من الكلمات القريبة المعنى من الإخلاص كلمة الإحسان؛ لذا فقد يتساءل المرء عن الفرق بين هاتين الكلمتين في استعمال القرآن الكريم واستعمال أهل العلم؛ أَهُما شيء واحد أم هما شيئان مختلفان؟

ويجيب على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-؛ فيقول: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراك فإنه يراك [1]، وقد قيل: إنَّ الإحسان هو الإخلاص.

والتحقيق أنَّ الإحسان يتناول الإخلاص وغيره، والإحسان يجمع كمال الإخلاص لله، ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله؛ قال تعالى: ﴿ **بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [سورة البقرة:١١٢]، وقال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا** ﴾[سورة النساء:١٢٥]، فذكر إحسان الدين أولاً، ثم ذكر الإحسان ثانياً، فإحسان الدين هو -والله أعلم- الإحسان المسؤول عنه في حديث جبريل"[2].

---

(١) هذا جزء من حديث جبريل الذي أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٥٠) عن أبي هريرة ﷺ. ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٨) عن عمر ﷺ.

(٢) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج٧ ص٦٢٢.

فالإحسان إذاً أعم من الإخلاص وأعلى درجة منه؛ إذ يزيد الإحسان على الإخلاص بأنَّه يضم الفعل الحسن الذي يحبه الله ويرضاه.

ولكنَّ الباحث يرى أنَّ هذا التفريق بين معنى الإخلاص والإحسان العام، وليس بين الإخلاص والإحسان الاصطلاحي الوارد في حديث جبريل عليه السلام.

ولقد وجدت كلاماً نفيساً لابن رجب -رحمه الله- في هذا الشأن؛ يقول فيه: "مقام الإخلاص هو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى؛ لأنَّ استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته العمل.

أما مقام المشاهدة، فهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه، وهو أن يتنوّر القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام"[1].

فابن رجب -رحمه الله- يرى أنَّ الإحسان الاصطلاحي أعم من الإخلاص، فهو أعلى درجة من الإخلاص؛ إذ إنَّ الإخلاصَ عنده استشعار رقابة الله تعالى للعبد والعمل وفق ذلك؛ أما الإحسان فهو أن يصل المرء باستشعار رقابة الله تعالى كأنه يرى الله عياناً -والله أعلم-.

---

(١) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص٤١-٤٢ بتصرف وجيز.

المبحث الثاني
أهمية الإخلاص وثـمراته

لا يجادل أحد في أهمية الإخلاص والحديث عنه، فعلى الرغم من أنَّه موضـوع تقليدي إلا أنَّه متجدد حيٌ، فمهما تكلمنا فيه فلن نوفيه حقه، ولن نقدره قدره.

ومن خلال تتبع الباحث للنصوص الشرعية في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه محمـد ﷺ، وتتبعه أيضاً لأقوال أهل العلم ظهرت له نقاط عدة في أهمية الإخـلاص؛ سـواء من خلال الثمرات التي تثمرها هذه العبادة وهذه القيمـة في حيـاة الفـرد وفي واقـع الأمة، أو من خلال المكانة التي تفهم من تلك النصوص والأقوال.

ولكون الصلة وثيقة بين ما يثمـره الإخـلاص عـلى حاملـة وبـين أهميتـه رأى الباحث أنَّ الأنسب لطبيعة البحـث أن يجعـل -مـن حيـث الترتيـب والتـصنيف- اتصالاً من جانب بين النقاط التي تظهر الأهمية وبـين النقـاط التـي حـوت ثمـرات الإخلاص، وأن يجعل تغـايراً مـن جانـب آخـر، فـلا تتفكـك عـرى الموضـوع مـع المحافظة على الخصوصية، وذلك من خلال إفراد كل مجموعة من النقاط تحت عنوان مستقل، وجمعها كلها تحت عنوان آخر في نفـس المبحـث، وكـل ذلـك تحـت عنـوان مبحث واحد، وبذلك يلتقيان ويفترقان، وسنبدأ بالنقاط المتعلقة بأهميـة الإخـلاص ومكانته، ثم نثني بالثمرات.

أولاً- أهمية الإخلاص ومكانته

أ- الإخلاص أمر الله الأول لعباده الأولين والآخرين

من خلال النظر في آيات كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ يجد المتأمل أنَّ أول أمرٍ أمرَ الله به عباده هو الإخلاص، فقد أمر ﷻ عباده الأولين والآخرين بعبادته عبادةً خالصة خالية من كل شَوْب ومن كل شِرْك، فقال -عز من قائل- في محكم التنزيل عن أهل الكتاب: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [سورة البيّنة:٥]، فكانت أول فريضة فرضها الله عليهم هي الإخلاص لله في العبادة.

وقال ﷻ مخاطباً نبيه محمداً ﷺ في سورة الزمر: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ [سورة الزمر: ٢-٣][1].

وفي نفس السورة يوجه ﷻ الخطاب لنبيه محمد ﷺ مرة أخرى بأن يصدح بالإخلاص، وبأن يعلن التوحيد شعاراً يظلل حياته كلها فيقول -عز من قائل-: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴾[سورة الزمر:١٤][2].

---

(١) يقول سيد -رحمه الله- في ظلاله حول هذه الآية: "الخطاب لرسول الله ﷺ الذي أنزل إليه الكتاب بالحق. وهو منهجه الذي يدعو إليه الناس كافة عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، وقيام الحياة كلها على أساس هذا التوحيد". قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٥ ص ٣٠٣٦.

(٢) يرى الباحث أن سورة الزمر كلها تدور حول محور وأحد وهو الإخلاص.

وبناءً على ما مضى فإنَّ الله ﷻ أَمَرَ الأمم السابقة، وأَمَر نبيه محمداً ﷺ، وأمَرنا نحن بأمره لنبيه ﷺ بالالتزام بالإخلاص له سبحانه في العبادة والتوجه إليه ﷻ وحده بها، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه، فهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه"(١).

ويعده -رحمه الله- في موضع آخر أصل العبادة(٢)، ويؤكد ذلك تلميذه ابن القيم -رحمه الله-، والذي يقول: "وجميع الرسل إنَّما دعوا إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[سورة الفاتحة:٥]، فإنَّهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته من أولهم إلى آخرهم"(٣).

بـ الإخلاص هو حق لله على عباده

إذا كان ما مرَّ هو موقف القرآن الكريم من مسألة الإخلاص، والذي وضعه في تلك المكانة العلية، فقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ مؤكدة لتلك الأهمية من خلال بيان أنَّ الإخلاص هو حق الله على عباده في عبادتهم له، فعَن مُعَاذ بن جَبَلٍ ﷺ

---

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١٠ ص٤٩.

(٢) انظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**. ٢٧ ص٩٤.

(٣) ابن القيم، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ج١ ص١١٤.

قال: كُنتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ ﷺ: «**يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ**». قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «**لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**»(١).

وعبادة الله من غير إشراك هي الإخلاص لله؛ إذ إنَّ الإخلاص في مفهومه العام نقيض الشرك؛ كما قال الإمام الغزالي -رحمه الله-: "الإخلاص يضاده الشرك، فمن ليس مخلصاً فهو مشرك"(٢).

وَيُؤَخذ هذا من حديث محمود بن لبيد ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرِّيَاءُ يُقَالُ لِمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فَاطْلُبُوا ذَلِكَ عِنْدَهُمْ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٢٦٤٤) واللفظ له. ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٤٤). وابن ماجه، **السنن**، رقم (٤٢٨٦). ومعلوم أن لله على عباده حقوقاً أخرى هي تبع لهذا الحق الرئيس من أجل ذلك جعلت عبادة الله من غير إشراك به كأنها وحدها حقه سبحانه.

(٢) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٤ ص٣٧٩.

(٣) أخرجه أحمد، **المسند**، ج٥ ص٤٢٨، رقم (٢٣٠٩٨) عن محمود بن لبيد. والطبراني، **المعجم الكبير**،

وكذلك حديث شداد بن أوسٍ ﷺ الذي سمع النبي ﷺ يقول: «**مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ**»[1].

وجاء عنه ﷺ أنَّه قال: (كنا نعد على عهد رسول الله ﷺ أنَّ الرياء الشرك الأصغر)[2].

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة بأنَّ الرياء نوع من الشرك؛ إذ إنَّ الشرك نوعان: شركٌ أكبر وشركٌ أصغر، فالشركُ الأكبر هو التوجه بالعبادة لغير الله تعالى، والشركُ الأصغر هو الرياء.

فالمرائي لا يعبُد أحداً غير الله؛ لكنه يعاني من فساد نيته في التوجه الكامل إلى الله تعالى؛ كما قال ابن حجر الهيتمي -رحمه الله- (ت٩٧٤هـ): "يتضح الفرق بين الرياء وبين الشرك الأكبر بمثال، وهو أنَّ المصلي مراءاة يكون رياؤه سبباً باعثاً على

رقم (٤١٨٠). والحاكم، **المستدرك**، ج٤ ص٣٦٥. وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرّجاه. وهو حديث حسن. قال الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح"، (الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج١ ص١٠٢). وصححه الألباني في: **الصحيحة**، رقم (٩٥١).

(١) أخرجه أحمد، **المسند**، ج٤ ص١٢٦. والحاكم، **المستدرك**، ج٤ ص٣٦٥، رقم (٨٠٥٦). والطبراني، **المعجم الكبير**، رقم (٧١٣٩). وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه الحاكم، **المستدرك**، ج١ ص٣٢٩. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وهو ليس كما قال؛ إذ في إسناده ابن لهيعة ومعروف حاله.

العمل، وهو تارة يقصد بعمله تعظيم الله تعالى، وتارة لا يقصد شيئاً، وفي كل منهما لا يصدر عنه مكفِّر بخلاف الشرك الأكبر الذي لا يحدث إلاّ إذا قصد تعظيم غير الله تعالى، وعُلم بذلك أنَّ المرائي إنَّما حَدَث له هذا النوع من الشرك بتعظيمه قدر المخلوق عنده حتى حمله ذلك على الركوع والسجود، فكأَنَّ المخلوق هو المعظَم بالسجود من وجه، وذلك غاية الجهل"[1].

فالإخلاص إذاً هو التوحيد العملي الإرادي؛ كما صرح بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في قوله: "التوحيد العملي الإرادي هو إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة، وهو الذي يتكلم به مشايخ التصوف غالباً"[2].

وبهذا يكون الإخلاص "ثمرة من ثمرات التوحيد الكامل لله تعالى الذي هو إفراد الله ﷻ بالعبادة والاستعانة، وبهذا الإخلاص يكون الإنسان المؤمن عبداً لله حقاً لا عبد هواه ولا أهواء غيره، ولا عبد دنياه ولا دنيا غيره"[3].

وللشرك خطورة تعلو كل ذنب، فهو الذنب الذي لا يغفره الله تعالى من دون توبة؛ كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ

---

(١) الهيتمي، **الزواجر**، ج١ ص٧٦ باختصار وتصرف وجيز.

(٢) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١٠ ص٥٤ بتصرف وجيز.

(٣) القرضاوي، **النية والإخلاص**، ص١٢.

﴿بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء: ١١٦]، فعلى المؤمن الحذر من الشرك مطلقاً كبيره وصغيره؛ وهذا دلَّ عليه العموم الوارد في الآية، والذي يحتمل أن يكون داخلاً فيه الشرك الأصغر؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ في تأويل المصدر وتقديره إشراكاً به، فهو نكرة في سياق النفي فيفيد العموم[1]؛ أي عموم الشرك كبيره وصغيره.

جـ الإخلاص الركن الأول لقبول العمل

الإخلاص هو الركن الأول من أركان قبول العمل؛ إذ لا بد لأيِّ عمل حتى يكون مقبولاً عند الله من شروط، والله تعالى لا يقبل من العمل إلاّ ما كان خالصاً له تعالى، وكان موافقاً لما شرعه لنا وشرعه نبيه ﷺ، وفي ذلك يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأئمة أنَّ من عمل الأعمال بغير إخلاص لله لم يُقبَل منه ذلك"[2].

هذا ما دلت عليه النصوص الشرعية وفهمه سلف الأمّة وعلماؤها من تلك النصوص، وترجموه في أقوالهم وأفعالهم.

فمما جاء في القرآن الكريم مبيناً العمل المقبول عند الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ

---

(١) انظر: ابن عثيمين، **كتاب القول المفيد شرح كتاب التوحيد**، ج١ ص١١٤.

(٢) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج٢ ص٢٤٣.

مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

ويفسر لنا الإمام الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) -رحمه الله- الشرك المنهي عنه بمطلق الشرك، فيقول: "ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، إشراكاً جلياً؛ كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، ولا إشراكاً خفياً؛ كما يفعله أهل الرياء ومن يطلب بعمله الدنيا"(١).

وهذا الذي قاله الآلوسي يؤكد ما قررناه قريباً من أنَّ الرياء نوع من أنواع الشرك.

هذا ما جاء في كتاب الله أمَّا ما جاء في السنة فعن عمر ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(٢)، فدلّ هذا الحديث على أنَّ "العمل في نفسه صلاحه وفساده وإباحته بحسب النية الحاملة عليه المقتضية لوجوده، وثواب العامل وعقابه وسلامته بحسب النية التي صار بها العمل صالحاً أو فاسداً أو مباحاً"(٣).

وعَن أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكرَ مَالَهُ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**»، فَأَعَادَهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ

---

(١) الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٦ ص٥٤.

(٢) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (١). وأبو داود، **السنن**، رقم (١٨٨٢). وابن ماجه، **السنن**، رقم (٤٢١٧).

(٣) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص٢٢.

يَقُولُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»(١).

وهكذا دلت أدلة الكتاب والسنة على وجوب شرط الإخلاص حتى يكون العمل مقبولاً عند الله تعالى.

وكذلك فهم السلف -عليهم الرضوان- ذلك؛ إذ جاء عن ابن مسعود ﷺ أنّه قال: "لا ينفع قولٌ إلاّ بعمل، ولا ينفع قولٌ وعملٌ إلاّ بنية، ولا ينفع قول وعمل ونية إلاّ بما وافق السنة"(٢).

ويُشتَهَر بين طلاب العلم تفسير الفضيل بن عياض -رحمه الله- لأحسن العمل في قوله تعالى: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ [سورة هود: ٧]؛ حيث قال: "أحسن العمل هو أخلصه وأصوبه". فسُئل: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: "إنَّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة"(٣).

ويبيّن ذلك أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-؛ حيث يقول: "والله

---

(١) أخرجه النسائي، **السنن**، رقم (٣٠٨٩). وصححه الشيخ الألباني -رحمه الله- في **الصحيحة**، رقم (٥٢).

(٢) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص١٤.

(٣) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٨ ص٩٥. وابن القيم، **مدارج السالكين**، ج٢ ص٩٣.

تعالى أمر الخلق أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً، ويعبدوه بما شرع، وأمر أن لا يعبدوه بغير ذلك...، فالسالك طريق الزهادة والعبادة إذا كان متبعاً للشريعة في الظاهر وقصد الرياء والسمعة وتعظيم الناس كان عمله باطلاً لا يقبله الله، وإن كان خالصاً في نيته؛ لكنه يتعبد بغير العبادات المشروعة كانت هذه العبادات باطلة مردودة"[1].

ويقرر العلامة الْمُناوي (ت ١٠٢٣هـ) في كتابه (فيض القدير) أنَّ صحة الإيمان تتوقف على النية والإخلاص، فيقول -رحمه الله-: "الإيمان إقرار باللسان وعمل بالأركان، وله شرطان معنويان عليهما يتوقف صحة الإقرار والعمل، وهما النية والإخلاص؛ إذ بهما يثبت الانقياد المحقق والتمييز بين المنافق"[2].

ويؤكد ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) -رحمه الله- في تفسيره أنَّه لا قبول لعملٍ إلاّ بهذين الشرطين، فيقول: "وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما؛ أي الإخلاص والصواب، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متابعاً للشريعة، فيصح ظاهره بالمتابعة، وباطنه بالإخلاص، فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد، فإذا فقد الإخلاص كان منافقاً، وهم الذين يراؤون الناس، وإذا فقد المتابعة

---

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١١ ص٦١٢-٦١٣ باختصار. وانظر منه أيضاً: ج١٠ ص٢١٢-٢١٣.

(٢) المناوي، **فيض القدير**، ج٣ ص١٨٨ بتصرف.

كـان ضالاً جاهلاً، ومـتى جمعها -الإخلاص والمتابعة- كان عمل المؤمنين"[1].

وينقل العلامـة صـديق خـان (ت ١٣٠٧هـ) -رحمـه الله- الإجمـاع عـلى أنَّ الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله[2].

ولابن الجوزي (ت ٥١٠هـ) -رحمه الله- تشبيه جميل لمكانـة الإخـلاص مـن العمل؛ إذ يقول: "العمل صورة والإخـلاص روح؛ إذا لم تخلـص فـلا تتعـب، فلـو قطعت سائر المنازل لم تكن حاجاً إلاّ بشهود الموقف، ولا تغتر بصورة الطاعات، فإنَّ خصم الإخلاص إذا جاء عند حاكم الجزاء ألزم الحبس عن القبول"[3].

نعم إنَّ العمل جسد والإخلاص لله هو الروح لهذا الجـسد؛ فـأي عمـل فَقَـدَ الإخلاص فَقَدْ فَقَدَ الحياة والروح، ولعل ابن عطاء السكندري (ت ٧٠٩هـ) -رحمه الله- صاحب الحكم المعروفة بـ(الحكـم العطائيـة) قـد تـرجم في حكمـه قـول ابـن الجوزي؛ حيث قال: "الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها"[4].

ويقـول الـشيخ حـافظ الحكمـي (ت ١٣٧٧هـ) -رحمـه الله- في (معـارج

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١ ص٥٦٠.

(٢) صديق خان، **الدين الخالص**، ج٢ ص٣٨٥.

(٣) ابن الجوزي، **اليواقيب الجوزية في المواعظ النبوية**، ص٧٧.

(٤) ابن عباد، **غيث المواهب العلية شرح الحكم العطائية**، ص١٩.

القبول): "وللعبادة ركنان لا قوام لها إلاّ بهما، وهما الإخلاص والصدق، وحقيقة الإخلاص أن يكون قصد العبد وجه الله ﷻ والدار الآخرة..."[1].

"وأما الصدق: فهو بذل العبد جهده في امتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، والاستعداد للقاء الله، وترك العجز، وترك التكاسل عن طاعة الله، وإمساك النفس بلجام التقوى عن محارم الله، وطرد الشيطان عنه بالمداومة على ذكر الله تعالى، والاستقامة على ذلك كله ما استطاع..."[2].

"وإذا اجتمعت النية الصالحة والعزيمة الصادقة في هذا العبد قام بعبادة الله ﷻ، ثم اعلم أنَّه لا يقبل منه ذلك إلاّ بمتابعة الرسول ﷺ، فيعبد الله تعالى بوفق ما شرع..."[3].

إذاً لا قبول للعمل عند الله تعالى إلاّ بالإخلاص لله سبحانه، وهذا ما أجمعت عليه الأمّة.

ولابن عطاء كذلك في حكمه تعبيرٌ جميل عن ذلك؛ حيث يقول -رحمه الله-: "إنَّ الله لا يحب العمل المشترك، ولا القلب المشترك، فالعمل المشترك هو لا يَقبَلُه،

---

(١) الحكمي، **معارج القبول بشرح سلم الوصول**، ج١ ص٣٥١.

(٢) الحكمي، **معارج القبول**، ج١ ص٣٥٢.

(٣) الحكمي، **معارج القبول**، ج٢ ص٣٥٣.

والقلب المشترك هو لا يُقبِلُ عليه"[1].

والعمل الذي قصده ابن عطاء هو العمل المشوب بالرياء والتصنع، والقلب المشترك هو الذي فيه محبة غير الله تعالى والسكون إليه والاعتماد عليه[2].

ويبيّن ابن القيم -رحمه الله- السبب في عدم قبول العمل الخالي من الإخلاص، فيقول: "وهذا الشرك في العبادة (الرياء) يبطل ثواب العمل، وقد يعاقَب عليه إذا كان العمل واجباً، فإنه ينزله منزلة من لم يعمله فيعاقَب على ترك الأمر، فإنَّ الله أمر بعبادته خالصة، فقال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [سورة البينة:٥].

فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما أُمِرَ به؛ بل الذي أتى به شيء غير المأمور به، فلا يصح ولا يُقبل منه، ويقول الله ﷻ له: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[3]"[4].

فكل عمل لا يراد به الله فهو زائل مُحبَط.

---

(١) ابن عباد، **غيث المواهب العلية**، ص٢٥٢.

(٢) ابن عباد، **غيث المواهب العلية**، ص٢٥٢.

(٣) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٥٣٠٠).

(٤) ابن القيم، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، ص١٤٠-١٤١.

د- حرص السلف على النية الصادقة والإخلاص

مما يُظهر أهمية هذا الموضوع حرص السلف من أوائل هذه الأمّة -عليهم رضوان الله- على أمر النية الصادقة وإخلاص القصد لله تعالى، وهذا أمر يجب اعتباره؛ إذ إنَّ رأي السلف وفهم السلف أمرٌ لا بُدَّ من الوقوف عنده؛ لأنَّهم كانوا أقرب الأمّة إلى الفهم الصحيح للإسلام لقرب عهدهم بالتنزيل، ومخالطتهم للرسول الكريم ﷺ، وهذا ما أكده حديث النبي ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١)، فهم ما حققوا هذه الخيرية إلاّ بالفهم الصحيح للكتاب والسنة، والتطبيق السليم لهما، ولذلك ما حرص عليه السلف كان لزاماً علينا الاهتمام به والحرص عليه.

ومن نماذج حرصهم على النية الصالحة وإخلاص القصد لله ما روي أنَّ أحدهم ما كان يعمل العمل إلاّ إذا أحضر له النية، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ يسأل الله أن يجعل عمله خالصاً بهذا الدعاء: (اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً)(٢).

ويصف هذا الحرص سفيان الثوري (ت ١٦١هـ) -رحمه الله- فيقول عن

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٣٦٥٠). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٥٣٥).

(٢) ابن تيمية، **فتاوى شيخ الإسلام**، ج١٠ ص١٧٣.

الصحابة ﷺ: "كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل"[1].

ويقول إبراهيم النخعي (ت ٩٦هـ) -رحمه الله-: "لم يكن عبد الرحمن بن يزيد النخعي (ت ٨٣هـ) يعمل شيئاً إلاّ بنية؛ حتى إنه كان يشرب الماء بنية"[2].

وجاء في كتاب حلية الأولياء لأبي نُعيم الأصفهاني (ت ٤٨٦هـ) -رحمه الله- أنَّ مكي بن إبراهيم (ت ٢١٥هـ) قال: دخلت على سفيان الثوري يوماً، وبين يديه رغيف وكف زبيب أو جفنة، فقال لي: أُدنُ يا مكي. قلت: يا أبا عبدالله دخلت إليك غير مرة وأنت تأكل فلم تدعني قبلها. قال:اليوم حضرتني النية[3].

أي لما حضرته النية الصادقة دعاه لتناول الطعام معه، ومن قبلُ لم يكن يستحضر النية من أجل ذلك فلم يكن يدعوه، وذلك كله من شدة حرصه على الإخلاص؟!

وهذا يحيى بن كثير (ت ٢٠٦هـ) يحث على تعلم أحكام النية، فيقول -رحمه الله-: "تعلموا النية فإنَّها أبلغ من العمل"[4].

---

(١) الزَبيدي، **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، ج١٣ ص٢٠.

(٢) الإمام أحمد، **العلل ومعرفة الرجال**، ج١ ص٢٧٨.

(٣) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٧ ص٦٢.

(٤) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص١٤.

ويقول داود الطائي (ت ١٦٥هـ) -رحمه الله- موصياً مَن بعده: "رأيت الخير كلَّه إنَّما يجمعه حسن النية، وكفاك بها خيراً، وإن لم تنصب"[١]؛ أي وإن لم تعمل وتتعب.

ويقول يوسف بن أسباط (ت ١٩٥هـ) -رحمه الله-: "إيثار الله ﷻ -أي الإخلاص له- أفضل من القتل في سبيل الله"[٢].

ويطلب عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٩٠هـ) -رحمهما الله- من أبيه (ت٢٤١هـ) أن يوصيه، فيجيبه أبوه، فيقول: "يا بني انوِ الخير، فإنَّك لا تزال بخير ما نويت الخير"[٣].

ومن اهتمام أهل العلم بالإخلاص والنية أن كثيراً منهم كان يفتتح كتبه بحديث «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»؛ كالبخاري (ت ٢٥٦ هـ) والنووي (ت ٦٧٦هـ) وغيرهما -عليهم رحمة الله جميعاً-. وكل هذا لإدراك سلفنا وعلمائنا لما للنية الصادقة من أثر في مضاعفة الأجور وإتمامها وتعظيمها عند الله تعالى.

---

(١) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص١٤.

(٢) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص١٥.

(٣) ابن الجوزي، **مناقب الإمام أحمد**، ص٢٠٠؛ من تعليقات الشيخ أبي غدة على **رسالة المسترشدين**، ص٧٧.

هـ ـ حالة الفشل والضعف والإخفاق التي تسود الأمَة

إذا كانت النقاط السابقة قد أظهرت لنا أهمية الإخلاص في ذاته فإنَّ هناك أمراً يدفع كلَّ داعية وكلَّ من وضع نفسه على درب الإصلاح والتغيير لحال الأمة للخوض في غمار موضوع الإخلاص والنية إما كاتباً أو واعظاً أو مربياً أو مجاهداً.

هذا الأمر هو حالة الفشل والضعف والإخفاق والتقهقر إلى الوراء التي تمر بها الأمة الإسلامية اليوم، والتي تجعل التطرق للحديث عن الإخلاص والتأكيد عليه أمراً لازماً؛ إذ إنَّ من أهم أسباب ما تعيشه الأمة من ضياع غياب الإخلاص لله تعالى عن قلوب المسلمين؛ إذ تحولت النوايا والمقاصد إلى وجهات أخرى غير وجه الله الواحد الصمد.

فإذا أرادت الأمة أن تتخلص مما هي فيه فعليها بالإخلاص وتنقية النوايا من أي دخن، فكما قال ابن تيمية -رحمه الله-: "إنَّ الإخلاص والتوكل جماع صلاح العامة والخاصة"[1].

فلا يكون صلاح ولا قوة لهذه الأمّة إلاّ إذا أخلصت وتخلصت لله وحده، ومع الأسف الشديد، فإننا نجد داء الرياء والنفاق قد دبّ في الأمّة وأضحى منهجاً تتسم به حياة البعض؛ مما يُنذِر بالشؤم إذا لم يتدارك المؤمنون أحوالهم ويهبّوا

---

(١) ابن تيمية، **دقائق التفسير**، ج١ ص٢١٢.

لإصلاحها. وسيظهر لنا من خلال الصفحات القادمة كيف أنَّ الإخلاص سببٌ من أسباب النصر للأمّة، وسببٌ من أسباب عزتها.

إنَّه لا بد أن نعي "أنَّ أكثر ما يصيب الأمم والجماعات من النكبات والكوارث القاصمة إنَّما يجره عليها أناس لا يرجون الله ولا الدار الآخرة؛ أناس من عبيد الدنيا وعشاق الثروة الذين لا يبالون في سبيل دنياهم وشهوات أنفسهم أن يدمروا دنيا الآخرين ودينهم معاً، وأن يحولوا الأبنية إلى خرائب والمنازل إلى مقابر والحياة إلى موات، أو أناس من طلاب الزعامة والسلطة، وعبيد الشهرة والجاه، وعشاق المجد الشخصي والبطولة بغير حق، فإنَّهم في سبيل تحصيل ذلك لا يبالون أن يخربوا ديار ويدمروا أمماً لا لشيء إلاّ من أجل التصفيق لهم والهتاف بمدحهم والإطراء لهم في الصحف والمجلات ويدوم لهم الاستمتاع بالمراكز والمناصب"[1].

لذلك إذا أرادت الأمّة نهضتها وأرادت عزّها فعليها بتوحيد الوجهة لله تعالى، والعمل على إزاحة من مردوا على الرياء والنفاق وإحلال المخلصين الصادقين مكانهم، فبهم تنهض وبهم تعز.

و- صعوبة الإخلاص وخفاء الرياء

الإخلاص عمل من أعمال القلوب، فهو أمر خفي بين العبد وربّه، وهو أمر

---

(١) القرضاوي، **النية والإخلاص**، ص١٤-١٥.

صعب على القلب أن يتعبد به؛ لأنَّه يستلزم أن يتخلص المرء من كل حظ دنيوي في أي عمل أراده؛ لذلك كان بحاجة إلى بيان وتوضيح خاصة إذا عرفنا أنَّ ضده، وهو الرياء -ذلك المرض الذي يأتي على القلب فيتركه قاعاً صفصفاً من كل شكل من أشكال الحياة- مرض من أشد أمراض القلوب خفاءً على الإنسان؛ لذلك وصفه النبي ﷺ بأنه شركٌ خفي، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**» فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ**»(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الشِّرْكُ فِي أُمَّتِي أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَا**»(٢).

وكذلك جاء في حديث آخر بإسناد فيه إرسال وصفه بأنَّه شرك السرائر، فقد روي عن محمود بن لبيد أنَّه قال: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ**

---

(١) أخرجه أحمد، **المسند**، ج٤ ص٤٠٣، رقم (١٩٦٠٦)، وهو حديث حسن. انظر: الألباني، **صحيح الترغيب والترهيب**، رقم (٣٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم، **حِلْيَة الْأَوْلِيَاءِ**، ج٣ ص١١٤، وصححه الشيخ الألباني، **صحيح الجامع**، رقم (٣٧٣٠) ونسبه إلى الحكيم الترمذي.

صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ»[1].

ولقد أدرك سلف الأمّة خفاء الإخلاص وصدق النية لله، فهذا أبو القاسم الجنيد (ت ٢٩٧هـ) -رحمه الله- يقول: "الإخلاص سر بين العبد وبين الله لا يعلمه مَلَكٌ فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هَوى فيُميلُه"[2] .

وبسبب هذا الخفاء كان الإخلاص أمراً على الربانيين صعب المعالجة، فهذا سفيان الثوري -رحمه الله- يقول: "ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي؛ لأنَّها تنقلب عليّ"[3].

وكذلك قال يوسف بن أسباط -رحمه الله-: "تخليص النية من فسادها أشد على العالمين من طول الاجتهاد"[4].

ويقول يوسف بن الحسين الرازي (ت ٣٠٤هـ) -رحمه الله-: "أعز شيء في الدنيا

---

(١) أخرجه ابن خزيمة، **الصحيح**، رقم (٨٩٢). والبيهقي، **شعب الإيمان**، رقم (٢٩٩٤). وابن أبي شيبة، **المصنف**، رقم (٨٢٧٢).

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢ ص١٤٦.

(٣) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص١٤.

(٤) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص١٤-١٥.

الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت على لون آخر"[1].

ويقول هشام الدستوائي (ت ١٥٣هـ) -رحمه الله-: "والله ما أستطيع أن أقول قط أطلب الحديث أريد به وجه الله ﷻ".

ويورد الإمام الذهبي (ت ٧٤٨هـ) -رحمه الله- في كتابه (سير أعلام النبلاء) قول هشام هذا، ثم يعقّب عليه بقوله: "ولا أنا، فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنبلوا وصاروا أئمةً يُقتدى بهم"[2].

فإذا كان هذا حال القوم، ومدى خوفهم من الرياء فماذا نقول نحن؟ إنَّ أحدنا يدعي الإخلاص أمام الناس وما درى أنَّ إخلاصه المُدعى يحتاج إلى إخلاص.

ولننظر إلى رباني آخر ماذا يقول في شأن الإخلاص ومشقته؛ سئل سهل التستري (ت ٢٨٤هـ) -رحمه الله-: أي شيء أشد على النفس؟ فقال: "الإخلاص؛ لأنَّه ليس لها فيه نصيب"[3]؛ أي ليس للنفس فيه نصيب وحظٌّ من حظوظ الدنيا للنفس؛ لذلك كان عليها صعباً وشاقاً.

وللمحاسبي (ت ٢٤٣هـ) -رحمه الله- نظرة في سبب خفاء هذا المرض؛

---

(١) ابن القيم، **مدارج السالكين**، ج٢ ص٩٦.

(٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٧ ص١٥٢.

(٣) المقدسي، مختصر **منهاج القاصدين**، ص٣٦٦.

حيث يقول في كتابه (الرعاية): "... لأنَّه (أي المؤمن) لما منعها (أي النفس) من كثير من لذاتها من الدنيا، فإذا وجدت موضع خلاص في الدين إلى طلب اللذة والراحة نازعته إليه؛ لتصيب من راحة الدنيا بعد منعه لها أكثر لذتها وراحتها، وهي شهوتها الخفية ولذتها الكامنة؛ لأنها ليست من ظاهر شهواتها.

فعلم العبد -إذا نازعته إليها- أنَّها قد نازعته إلى شهوتها ولذتها، وليس من شهوتها الظاهرة...، ولكن من شهوة من باطنها في خير ظاهرها، فهي خفية في النفوس؛ لأنَّها ليست بظاهرة من فضول حلال منفرد به، ولا شر ينفرد من الشر الذي لا يشوبه الخير، ولكنها شهوة خفية إذ صارت ممازجة للخير داخلة فيه"[1].

ثم يقول -رحمه الله-: "فلا يتبين ذلك إلاّ بالعلم الدال على قصده ما هو، فكمنت وخفيت على العامل إذ لم يستضيء بالعلم؛ كما يروى عن وهب أنَّه قال: كُمون الشهوة في القلب كَكُمون النار في العود؛ إن قدح أوري، وإن ترك خفي..."[2].

والمحاسبي -رحمه الله- يقصد بهذا الكلام أنَّ نفس المؤمن عندما يلجمها عن شهواتها الظاهرة والمعاصي الواضحة وعن ملذاتها ويقمعها عن الحرام، فإنَّها تبحث في الخفاء عن لذة أخرى قد لا يشعر بها العبد، وهي لذة الشعور بالرضا إذا علم

---

(١) المحاسبي، **الرعاية لحقوق الله**، ص١٥٤.

(٢) المحاسبي، **الرعاية لحقوق الله**، ص ١٥٥.

الناس بصلاح وأعماله، فتبدأ تحركه من حيث لا يدري إلى مراعاة ذلك.

ويقول الإمام الغزالي شارحاً كلام المحاسبي -رحمه الله-: "قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمتي الرياءَ والشهوةَ الخفيةَ التي هي أخفى من دبيبِ النملةِ السوداءِ على الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ في الليلةِ الظلماء**»[1]، ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلاً عن عامة العُبّاد والأتقياء، وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها، وإنما يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة، فإنَّهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم، فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق، وفرحت بحمد الناس، ولم تقنع بحمد الله وحده، وعلمت أنَّهم إذا عرفوا تركه

---

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: "خرَّجه ابن ماجه والحاكم من حديث شداد بن أوس وقالا الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم: صحيح الإسناد. قلت: بل ضعيفه، وهو عند ابن المبارك في الزهد، ومن طريقه عند البيهقي في الشعب بلفظ المصنف". العراقي، **المغني عن حمل الأسفار**، في حاشية **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٢٧٥، ولم أعثر على هذا الحديث بتمامة في أصل من أصول السنة التي ذكرها العراقي، وإنما الموجود أصله. وصححه الألباني في: **السلسلة الصحيحة**، رقم (٥٠٨)، وهو في شعب البيهقي بغير اللفظ الذي أورده الغزالي. انظر: البيهقي، **شعب الإيمان**، ج٥ ص٣٣٣. والله أعلم.

الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والإطراء ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام...، فأصابت النفس من ذلك لذة هي أعظم اللذات، وشهوة هي أغلب الشهوات، فهو يظن أنَّ حياته بالله وبعبادته المرضية، وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دراكها العقول النافذة القوية، ويرى أنَّه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله، والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيناً للعباد وتصنعاً للخلق وفرحاً بما نالت من المنزلة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجور الأعمال، وقد أَثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن أنَّه عند الله من المقربين، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلاّ الصدّيقون، ومهواة لا يرقى منها إلاّ المقرّبون، ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة"[1].

من أجل هذه الصعوبة وهذا الخفاء كان لا بُدَّ من التأصيل لهذا العلم -علم الإخلاص- وشرحه حتى يكون المسلم على بينة من الأمر، ولا يقع في حيل أهواء النفس وحبائل الشيطان.

ثانياً- ثمرات الإخلاص والنية الصادقة وآثارهما

للإخلاص والنية الصادقة لله ﷻ آثار وثمرات يجدها المخلص في حياته يمكننا أن نجملها في النقاط التالية:

---

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٢٧٥.

أ- الطمأنينة والسكينة في حياة المخلص

لا شك أنَّ مَن يجعل وجهته إلى جهة واحدة، ويوجه همه إلى هدف واحد، ويجمع فكره على فكرة واحدة، فإنَّ الراحة والطمأنينة والسكينة تملأ قلبه، وهذا حال من ترك الأنداد وتوجه إلى الواحد القهار وأخلص النية لربه تعالى.

أما مَن تعددت وجهته وتفرق همّه وتشتت فكره فإنَّ الاضطراب والتخبط يكونان شأنه؛ لأنَّه سيتعب وينصب في إرضاء الخلق عنه ليدرك عرضاً من الدنيا ومدحاً على الألسنة ورضاً في العيون وتقديماً في المجالس؛ لكن أنَّى له إدراك ذلك ورضا الناس غاية لا تُدرك -كما قيل-.

لقد قرَّرها الله ﷻ في كتابه الكريم أنَّه من يعمل لِوجهة واحدة لا يستوي هو ومن يعمل لوجهات متعددة، فقال ﷻ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر:٢٩].

يقول سيد قطب (ت ١٣٨٧هـ) -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: "وهذا المثل صورة حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك في جميع الأحوال، فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يقطع الرحلة على هذه الأرض على هدى؛ لأنَّ بصره أبداً معلق بنجم واحد على الأفق لا يلتوي به الطريق، ولأنَّه يعرف مصدراً واحداً للحياة والقوة والرزق، ومصدراً واحداً للنفع والضر، ومصدراً واحداً للمنح والمنع، فتستقيم خطاه إلى هذا المصدر الواحد يستمد منه وحده، ويعلق يديه بحبل واحد

يشد عروته، ويطمئن اتجاهه إلى هدف واحد لا يزوغ عنه بصره، ويخدم سيداً واحداً يعرف ما يرضيه فيفعله، وماذا يغضبه فيتقيه، وبذلك تتجمع طاقته؛ كذلك وتتوحد، فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع إلى إله واحد في السماء"[1].

ولقد وعد الله في كتابه من آمن به ولم يخلط هذا الإيمان بالشرك -أَيَّ شرك- بأَنَّ له الأمن والهداية في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [سورة الأنعام:٨٢].

وقد فسَّر النبيُ ﷺ الظلمَ هنا بالشرك[2]، ويفهم من ورود كلمة (ظلم) في الآية، والتي جاءت نكرة في سياق النفي عموم الظلم[3]؛ أي عموم الشرك، فمن وحّد الوجهة لله وأخلص دينه فإنَّ الشعور بالأمن والهداية هما جزاؤه في الدنيا والآخرة.

وقد جاء الوعد الإلهي على لسان نبينا محمد ﷺ أنَّ الراحة والهناء في الدنيا لا ينالها إلاّ طالب الآخرة، أما طالب الدنيا فما له إلاّ التعب والنصب، ولن يصل إلى شيء منها إلاّ إلى ما كُتبَ له، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ**

---

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، ج٧ ص١٣٨.

(٢) انظر: البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٣٣٦٠).

(٣) انظر: محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٧ ص٥٨٠.

نِيَّتُهُ طَلَبَ الآخِرَةِ جَمَعَ اللهُ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الدُّنْيَا جَعَلَ اللهُ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَشَتَّتَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَلاَ يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ»[1].

قال ابن القيم -رحمه الله- بعد أن أورد هذا الحديث في كتابه (إغاثة اللهفان): "ومن أبلغ العذاب في الدنيا: تشتيت الشمل، وتفريق القلب، وكون الفقر نصب عيني العبد لا يفارقه، ولولا سكرة عشاق الدنيا بحبها لاستغاثوا من هذا العذاب؛ على أن أكثرهم لا يزال يشكو ويصرخ منه"[2].

لذلك كان من أعظم ثِمار الإخلاص ونتائجه على المؤمن الموحد المخلص أن ينال راحة البال، ويشعر بالطمأنينة والسكينة تغمر قلبه؛ لأَنَّه وَحَّدَ همّه، وجعل همومه هماً واحداً؛ كما قال ﷺ: «**مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ**»[3].

---

(١) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٦ ص٣٠٧-٣٠٨. وأخرجه الترمذي أيضاً بلفظ قريب، **السنن**، رقم (٢٤٦٥). وصححه الألباني، **صحيح الترغيب والترهيب**، رقم (٣١٦٩).

(٢) ابن القيم، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ج١ ص٣٦-٣٧.

(٣) أخرجه ابن ماجه، **السنن**، رقم (٢٥٧)، والحاكم عن ابن عمر، وقال صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، ج٢ ص٤٤٣. وحسنه الألباني، **صحيح سنن ابن ماجه**، رقم (٢٠٧). قال المناوي في الفيض تعقيباً على هذا الحديث: "تخوف بأحوالها وتقلبها ورغب في الجمع والمنع، وذلك سُمٌّ قاتل، فمن رفض ذلك انكشف له الغطاء فوجد الله كافياً له في كل أمر فرفع باله عن التدبير لنفسه وأقبل على ملاحظة تدبير الله واستراح، وسخر إليه الناس، وأفاض عليه الخير بغير حساب، ولا قياس:

ويصوّر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- حال من ذاق طعم الإخلاص بقوله: "من ذاق طعم الإخلاص لله وإرادة وجهه دونما سواه يجد من الأحوال والنتائج والفوائد ما لا يجده من لم يكن كذلك؛ بل من اتبع هواه في مثل طلب الرئاسة والعلو وتعلقه بالصور الجميلة أو جمعه للمال يجد في أثناء ذلك من الهموم والغموم والأحزان والآلام وضيق الصدر ما لا يعبر عنه.

وربما لا يطاوعه قلبه على ترك الهوى ولا يحصل له ما يسره؛ بل هو في خوف وحزن دائماً؛ إن كان طالباً لما يهواه، فهو قبل إدراكه حزين متألم؛ حيث لم يحصل، فإذا أدركه كان خائفاً من زواله وفراقه.

وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإذا ذاق هذا أو غيره حلاوة الإخلاص لله والعبادة، وحلاوة ذكره ومناجاته، وفهم كتابه، وأسلم وجهه لله وهو محسن بحيث يكون عمله صالحاً ولوجه الله خالصاً، فإنَّه يجد من السرور واللذة والفرح ما هو أعظم مما يجده الداعي المتوكل الذي نال بدعائه وتوكله ما ينفعه"[1].

نعم إنَّه السرور بالأنس بالله تعالى الذي لا يعادله سرور ولا فرح.

فإن امرءاً دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور".

المناوي، **فيض القدير**، ج٣ ص٣٤٣.

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١٠ ص٦٥١.

بـ النجاة في الآخرة من عذاب الله تعالى

لا نجاة للعبد في الآخرة من عذاب الله ﷻ إلاّ بـالإخلاص التـام لـه ﷻ، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "إنَّ الإخلاص ينفي أسباب دخول النار، فمن دخل النار من القائلين لا إله إلاّ الله لم يحقق إخلاصها المحرم له على النار؛ بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي أوقعه فيما أدخله النار"[1].

وهذا ما دلت عليه النصوص الشرعية، فهـا هـو القـرآن الكـريم يتوعـد مَـنْ انحرف عن منهج الله بالعذاب إلاّ المخلَـصين المخلِـصين؛ قـال تعـالى: ﴿ **إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾** ﴾ [سـورة الصافات:٣٨-٤٠].

وجاء في السنة عن أنس ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الإِخْـلاَصِ للهِ، وَعِبَادَتِهِ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةَ فَارَقَهَا وَالله عَنْهُ رَاضٍ**»[2]، والله لا يعذب من رضي عنه.

وتروي لنا السيدة عائشة -رضي الله عنها- أنَّها سمعت النبي ﷺ يقول: «**يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنْ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**»، فتـسأله الـسيدة

---

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١٠ ص٢٦١.

(٢) أخرجه ابن ماجه، **السنن**، رقـم (٧٠). والحـاكم، **المستدرك**، ج٢ ص٣٣٢، وقـال: "هـذا حـديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وضعفه الألباني، **ضعيف سنن ابن ماجه**، رقم (١٢).

الطاهرة –رضي الله عنها– فتقول: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومَن ليس منهم؟ فيجيبها ﷺ بقوله: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»(١).

فانظر في هذا الحديث، وكيف أنَّ الله ينجي في الآخرة أولئك النفر؛ على الرغم من شمول العذاب الدنيوي لهم بسبب نياتهم؛ لأنَّها ما كانت متفقة مع نية الجيش.

وجاء في حديث آخر عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِم**»(٢).

فلا نجاة في الآخرة إلاّ بالإخلاص، ولقد توعد الله من لا يتوجه إليه بإخلاص بالعذاب الأليم والخزي الأكيد يوم القيامة، ولقد أفردنا لهذا العذاب موضعاً.

جـ مضاعفة الأجر وإتمامه أو إعطاؤه بمجرد النية

من ثمرات الإخلاص والنية الصالحة الصادقة مضاعفة الأجر للمخلص على عمله إن هو قام به، أو إعطاؤه أجر ذلك العمل كاملاً إن هو قام به ولم يتمه لمانع

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٢١١٨). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٨٨٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه، **السنن**، رقم (٤٢٢٩). وهو حديث حسن. وصححه الألباني، **صحيح ابن ماجه**، رقم (٣٤٠٧).

منعه، أو إعطاؤه الأجر على العمل إذا هو نواه ولم يقم به، وهذا ما دلت عليه الأدلة من الكتاب، وسنة النبي ﷺ، وقام ببيانه علماء الأمّة وسلفها.

فمن الأدلة على أنَّ العمل يضاعف أجره إذا ارتبط بالنية الصالحة في كتاب الله؛ قوله تعالى: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ** ﴾ [سورة الشورى: ٢٠]، جاء في (تفسير اللباب في علوم الكتاب) حول تفسير هذه الآية: "الحرث في اللغة الكسب؛ أي من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما شاء الله من الزيادة؛ قاله مقاتل. وقيل: معناه إنا نزيد في توفيقه وإعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات عليه"[1].

وفي هذا الباب من السنة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ قال: «**إِنَّ اللهَّ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُّ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُّ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُّ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»[2].

---

(١) ابن عادل الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج١٧ ص١٨٣.

(٢) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٦٤٩١). ومسلم، **الصحيح المسند**، عن أبي هريرة ﷺ، رقم (١٣٠).

قال صاحب (دليل الفالحين) -رحمه الله- تعليقاً على قوله ﷺ في الحديث «**إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ**»: "هذا على حسب ما اقترن بها من إخلاص نيته وإيقاعها في محلها الذي هي به أولى وأحرى"[1].

هذا علاوة على ما يستدل بهذا الحديث على كتابة الأجر لمجرد الهمِّ بالعمل ولو لم يعمله المرء.

ومما يستدل على أثر النية الصالحة والإخلاص في مضاعفة الأجور ما جاء في بعض الأحاديث من الجزاء على الإخلاص في عمل معين بالمغفرة أو مضاعفة الأجر.

فمن ذلك ما رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومَنْ قَامَ رَمَضَان إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[2].

وجاء أيضاً في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أيضا أنَّ النبي ﷺ قال: «**صَلَاةُ الْجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً**

---

(١) محمد بن علان المكي -١٠٥٧هـ، **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**، ج١ ص٨١.

(٢) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (١٩١٠). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٧٦٠).

وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ وَتُصَلِّي يَعْنِي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ» الحديث[1].

فانظر في الحديثين كيف رتب الله المغفرة على كون الدافع للعمل هو ابتغاء وجه الله وحده، والأحاديث في ذلك كثيرة.

ورحم الله عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ) الذي قال: "ربّ عمل صغير تكثره النية، وربّ عمل كبير تصغره النية"[2].

فالعمل إذا كان خالصاً لله كثرته النية، وإن كان هذا العمل في أعين الناس صغيراً، والعمل إذا لم يكن خالصاً كان حقيراً تافهاً وإن بدا في أعين الناس عظيماً كبيراً، فالله العالم بحقائق الأشياء يعطي كل شيء حقه.

أما كتابة الأجر على العمل وإن لم يعمله صاحبه، فقد مرّ بنا حديث: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**..» الحديث، وكيف دل على ذلك، وهناك أحاديث أخر تدل على هذا المعنى؛ منها ما رواه الشيخان عن أنس وجابر بن عبد الله ﷺ قالا رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال: «**إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا**

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٤٦٥). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٦٤٩).

(٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٨ ص٤٠٠.

وَادِيًا إِلا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ»[1].

فانظر وتأمل هذا الحديث كيف أثرت النية الخالصة الصادقة من قِبَلِ هؤلاء المحبوسين عن الجهاد بحيث كتب لهم الأجر وهم لم يشاركوا في العمل.

ومثل ذلك ما جاء عن أبي الدرداء ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ**»[2].

والنية في الحديث تعني العزم الصادق من الإنسان على القيام بالعمل لله وحده، فمن صدق وأخلص في قصده على القيام كتب له أجر القيام، وإن لم يقم لعذر من نوم أو نحوه؛ بل يتفضل الله عليه فوق فضله الأول بكتابة الأجر بأن يجعل نومه ذلك الذي حبسه عن القيام صدقة من الله تصدق به عليه.

ومثل ذلك أيضاً ما رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٢٨٣٩) و(٤٤٣٩) عن أنس ﷺ. ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (١٩١١) عن جابر ﷺ.

(٢) أخرجه النسائي، **السنن**، رقم (١٧٨٦)، وابن ماجه، **السنن**، رقم (١٣٤٤). والحاكم، **المستدرك**، ج١ ص٣١١. وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في: **صحيح الترغيب والترهيب**، رقم (٢١).

رسول الله ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**»(١).

وهذا إذا كان العبد ينوي استدامة عبادته التي اعتاد عليها في أحواله اليومية.

وما أجمله من حديث -وكل كلام النبي ﷺ جميل- حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه الذي قال فيه: إنَّه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلماً، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لله فِيهِ حَقّاً، فَهذا بأفضَلِ المَنَازِلِ. وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بنيَّتِهِ، فأجْرُهُمَا سَوَاءٌ. وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً، فَهُوَ يَخبطُ فِي مَالِهِ بغَيرِ عِلْمٍ، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ لله فِيهِ حَقّاً، فَهذَا بأَخْبَثِ المَنَازِلِ. وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»(٢).

فانظر إلى أثر النية الصالحة الصادقة للرجل الثاني في كتابة الأجر على عمل لم يعمله، وأثر النية السيئة كذلك على من نواها.

وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّ العبدَ لَيَعمَلُ أَعمَالاً حسنةً**

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٢٩٩٦).

(٢) أخرجه أحمد، **المسند**، ج٤ ص٢٣١. والترمذي، **الجامع**، رقم (٢٣٢٥)، وقال: حديث حسن صحيح.

فتصعدُ بها الملائكةُ في صُحفٍ مُختَمةٍ فتُلقى بين يَدي الله تعالى، فيقول: أَلقوا هذه الصَحيفة فإنَّه لم يُرَد بها فيها وجهي، ثُمَّ ينادي الملائكةَ اكتبوا له كذا وكذا، اكتبوا له كذا وكذا، فيقولون: يا ربنا إنَّه لم يعمل شيئاً من ذلك، فيقول اللهُ تعالى: إنَّه نواه»[1].

وجاء أيضاً في هذا الباب عن أنس ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقاً أُعْطِيَهَا، ولو لَمْ تُصِبْهُ**»[2].

ويلاحظ في هذا الحديث اشتراط الصدق، فإنَّ من يصدق اللهَ يصدقه اللهُ بأن يؤتيه ما طلب.

من أجل ذلك كلِّه أجاب أحد أهل العلم سائلاً سأله عن عمل لا يزال المرء به عاملاً لله تعالى؛ فقال: "انوِ الخير فإنَّك لا تزال عاملاً وإن لم تعمل، فالنية تعمل وإن عُدم العمل، فإنَّه من نوى أن يصلي بالليل فنام كتب له ثواب ما نوى أن يفعله"[3].

وأما كتابة الأجر للعمل الذي بُدئ به ولم يتم، فقد جاء في ذلك آيات وأحاديث، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا**

---

(١) أخرجه الدارقطني، **السنن**، ج١ ص٥١. وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (١٩٠٨). وأبو داود، **السنن**، رقم (١٥٢٠). والترمذي، **السنن**، رقم (١٦٨٣).

(٣) المقدسي، **مختصر منهاج القاصدين**، ص٣٦١.

﴿وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء:١٠٠]، فهذا بدأ بالهجرة ولكن حال حائل دون إتمامها، فكتب له الأجر كاملاً، فقد روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بإسناد رجاله ثقات أنَّه قال في سبب نزول هذه الآية: "خرج ضمرة بن جندب ﷺ من بيته مهاجراً، فقال لقومه: احملوني فأخرجوني من أرض الشرك إلى رسول الله ﷺ، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ، فنزل الوحي: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية"[1].

وأما ما جاء في السنة فقد جاء عن عبدالله بن عَتيك ﷺ أنَّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ**»، ثُمَّ قَالَ بِأَصَابِعِهِ هَؤُلاءِ الثَّلاثِ الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ وَالإِبْهَامِ فَجَمَعَهُنَّ، وَقَالَ: «**وَأَيْنَ الْمُجَاهِدُونَ؟! فَخَرَّ عَنْ دَابَّتِهِ فَمَاتَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى، أَوْ لَدَغَتْهُ دَابَّةٌ فَمَاتَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ، أَوْ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ[2] فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ ﷻ**»، وَاللهِ إِنَّهَا لَكَلِمَةٌ مَا سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدٍ مِن الْعَرَبِ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، «**فَمَاتَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَمَنْ مَاتَ قَعْصًا[3] فَقَدْ اسْتَوْجَبَ الْمَآبَ**»[1].

---

(١) انظر: الشوكاني، **فتح القدير**، ج١ ص٦٤٩.

(٢) يعني بحتف أنفه: على فراشه.

(٣) أي طعن بالرمح طعناً سريعاً.

وجاء عن أبي هريرة ﷺ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَمَاتَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْحَاجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَمَاتَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلٍ فَمَاتَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْغَازِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٢).

وجاء أيضاً عن عبدالله بن ثابت ﷺ أنَّه تجهز للخروج في الجهاد مع رسول الله ﷺ فجاءه أجله قبل الخروج، فقالت إحدى بناته متحسرة: والله إن كنت لأرجو أن تكون شهيداً. فقال رسول الله ﷺ - وكان حاضراً-: «**إِنَّ اللهَّ قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ**»(٣)، فعبدالله بن ثابت ﷺ تجهز للجهاد؛ لكنه لم يخرج، وعلى الرغم من ذلك أتم الله له أجره، وأوتي أجر شهيد.

والنِّية الصادقة يثاب بسببها على العمل وإن لم يتحقق مراد العامل من ذاك العمل، فعن معن بن يزيد -رضي الله عنهما- قال: كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق

---

(١) أحمد، **المسند**، ج٤ ص٣٦. والحاكم، **المستدرك**، ج٢ ص٨٨، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو يعلى، **المسند**، رقم (٦٣٥٧). والبيهقي، **الشعب**، رقم (٤١٠٠)؛ قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط، **"المعجم الأوسط**، رقم: (٥٣٢١)"، وفيه جميل بن أبي ميمونة، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات". الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج٣ ص٤٧٩. وضعفه الألباني في: **السلسلة الضعيفة**، رقم (٧٤٥)، وقال في **صحيح الترغيب**: "صحيح لغيره" رقم (١١١٤)، والأقرب عندي أنه حديث حسن.

(٣) أبو داود، **السنن**، رقم (٣١١١). وابن حبان، **الإحسان**، رقم (٣١٨٩). وصححه الألباني، **صحيح الترغيب**، رقم (١٣٩٨).

بها، فوضعها عند رجل في المسجد، فجئت فأخذتها، فأتيته بها، فقال: والله ما إيَّاك أردت، فخاصمته إلى رسول الله ﷺ فقال: «**لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ**»(١).

فانظر في هذا الحديث كيف أثاب الله الأب مع أنَّه ما قصد توجيه المال الذي أخرجه إلى ابنه.

ومثل ذلك ما حدثنا به النبي ﷺ من قصص الأمم السابقة أنَّ رجلاً منهم قال: « **لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ** -أي في المنام- **فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ**»(٢).

فدل هذا الحديث على أنَّ الأَجر كتب للعامل على الرغم من أنَّ عمله وقع على

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (١٤٢٢).

(٢) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (١٤٢١). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (١٠٢٢).

غير مراده طالما أنَّه وقع صحيحاً وفق ما شرع الله تعالى.

د- تحويل العادة المباحة إلى عبادة

من ثمرات النية الخالصة لله تعالى أنَّها تحول العادات المباحة إلى عبادات ينال عليها المرء الثواب الجزيل، وهذا ما اتفق عليه أهل العلم لدلالة الأدلة عليه؛ يقول الإمام الغزالي -رحمه الله-: "وما من شيء من المباحات إلاّ ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات، وينال بها معالي الدرجات، فما أعظم خسران من يغفُل عنها، ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة، ولا ينبغي أن يستحقر العبد شيئاً من الخطرات والخطوات واللحظات، فكل ذلك يسأل عنه يوم القيامة أنه لِمَ فعله؟ وما الذي قصد به؟"[1].

ومن أدلة ذلك ما جاء عن سعد بن أبي وقاص أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ**»[2].

وما جاء عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**ما أَطعَمت زوجتَك فهو لَكَ صَدَقَة، وما أَطعمت خَادمك فَهُو لَك صَدقَة، وما أَطعمتَ نفسَك**

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٤ ص٣٧١.

(٢) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٥٦). وأحمد، **المسند**، ج١ ص١٧٦.

فَهُو لَكَ صَدَقَة»[1].

وما جاء عن أنس ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ بَنَى بُنْيَانًا فِي غَيْرِ ظُلْمٍ، وَلاَ اعْتِدَاءٍ، وَمَنْ غَرَسَ غَرْسًا، فِي غَيْرِ ظُلْمٍ، وَلاَ اعْتِدَاءٍ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ جَارٍ مَا انْتَفَعَ بِهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ الرَّحْمَنِ** ﷻ»[2].

وكذلك حديث «**وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**» (أي إذا جامع الرجل زوجته). قالوا: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟ فقال ﷺ: «**أَرَأَيتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرامٍ أَكَانَ عَلَيهِ وِزرٌ؟ فكذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**»[3].

وهنا لا بد من التنبيه على أنَّ علماءنا اشترطوا لتحويل العادة إلى عبادة من نية صادقة توجه العمل من غرضه الدنيوي إلى غرض أخروي، وأن يقصد الفاعل نيل

---

(١) أخرجه أحمد، **المسند**، ج٤ ص١٣١. والطبراني، **المعجم الكبير**، رقم (٦٣٤). وقال في المجمع: "رجاله ثقات"، الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج٣ ص١١٩. قال المُناوي في فيض القدير: "إن نواه في الكل كما دل عليه تقييده في الخبر الصحيح بقوله: ((**وهو يحتسبها**)) فيحمل المطلق على المقيد؛ قال القرطبي: أفاد منطوقه أن الأجر في الإنفاق إنما يحصل بقصد القربة سواء كانت واجبة أو مباحة، وأفاد مفهومه أن من لم يقصد القربة لا يؤجر؛ لكن تبرأ ذمته من النفقة الواجبة؛ لأنها معقولة المعنى، وأطلق الصدقة على النفقة مجازاً، والمراد بها الأجر والقرينة الصارفة عن الحقيقة الإجماع على جواز النفقة على الزوجة الهاشمية التي حرمت عليها الصدقة". المناوي، **فيض القدير**، ج٥ ص٥٤٠.

(٢) أخرجه أحمد، **المسند**، ج٦ ص٤٤٤. وهو حسن بشواهده.

(٣) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (١٠٠٦).

رضا الرب ﷻ بفعله حتى يتحصل على الأجر[1].

أما العادات غير المباحة المكروهة والمحرمة فلا أثر للنية فيها؛ بل قد تزيد في إثم الإنسان إذا كان فيها إثم؛ لأنَّ الله لا يتقرب إليه بالحرام.

هـ حياة القلب

القلب هو الجهاز المحرك للإنسان نحو الخير أو نحو الشر؛ لذلك قال فيه النبي ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[2].

فصحة سير الإنسان متوقفة على مدى قوة الحياة التي تملأ قلبه، وحياة هذا القلب لا تكون إلاّ بإخلاص التوجه إلى الله تعالى، وفي هذا يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله-: "لا صلاح للقلب، ولا فلاح إلاّ في الإخلاص له، وتوحيد حبه"[3].

وقال في كتاب آخر: "إنَّ في القلب فاقةً لا يسدها شيء سوى الله تعالى أبداً، وفيه شعث لا يلمه غير الإقبال عليه، وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له وعبادته وحده"[4].

---

(١) انظر: المحاسبي، **الرعاية لحقوق الله**، ص٢٤٢. والأشقر، **الإخلاص**، ص١٥٥-١٥٦.

(٢) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٥٢). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (١٥٩٩).

(٣) ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج١ ص٣٣.

(٤) ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، ج١ ص٧١.

ويقول في إعلام الموقعين: "جزاء المخلص رزق عاجل إما للقلب أو للبدن أو لهما ورحمته مدخرة في خزائنه"[1].

وهذا ما دلت عليه النصوص الشرعية، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ إنَّ النبي ﷺ قال في حَجَّة الوداع: «**نضَّرَ اللهُ امْرَءًا، سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لاَ فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ. ثَلاَثٌ لاَ يَغِلُّ عَلَيْهِن قَلْبُ امرَئٍ مُؤْمِنٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوَلِيِّ الأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِمْ**»[2].

"أي لا يحمل الغل، ولا يبقى فيه مع هذه الثلاثة، فإنَّها تنفي الغل والغش، وهو فساد القلب وسخايمه، فالمخلص لله إخلاصه يمنع غل قلبه ويخرجه ويزيله؛ لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إلى مرضاة ربه، فلم يبق فيه موضع للغل والغش"[3].

والإخلاص بالإضافة إلى ما مرَّ هو علاج للقلب من أمراضه التي يُصاب بها، وفي هذا يقول ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: "وطريق التخلص من هذه الآفات كلها

---

(١) ابن القيم، **إعلام الموقعين**، ج٢ ص١٨٣ بتصرف.

(٢) أخرجه ابن حبان، **الإحسان**، رقم (٦٧٩). والترمذي، **السنن**، رقم (٢٦٥٨). ابن ماجه، **السنن**، رقم (٢٣٠). والحديث صحيح بمجموع طرقه.

(٣) ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، ج١ ص٧٢. وانظر: ابن القيم، **مدارج السالكين**، ج٢ ص٩٤.

-أي الأمراض التي تصيب القلوب مثل الحسد والكبر والعجب وغيرها- الإخلاص لله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [سورة الكهف: ١١٠]"[1].

ويقول -رحمه الله- في موضع آخر: "ينبوع الخير هو سبب حياة القلب ودواؤه لمن رام إحياء قلبه وعلاج أمراضه، فعليه قصد سبيل الإخلاص ففيها الوصول برحمة الله وتوفيقه"[2].

ولا ننسى حديث أبي هريرة ﷺ الذي قال فيه: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»[3].

ويقول التابعي مُطَرِّف بن عبدالله (ت ٨٦هـ) -رحمه الله-: "صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية"؟[4].

ويبين الحارث المحاسبي -رحمه الله- أنَّ الإخلاص أساس كل خير في القلب فيقول: "اعلم رحمك الله أنَّ الصدق والإخلاص أصل كل حال فمن الصدق

---

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١ ص٩٤.

(٢) ابن تيمية، **الزهد والورع**، ص٩١.

(٣) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٥٦٤).

(٤) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص١٥.

يتشعب الصبر والقناعة والزهد والرضا والأنس، وعن الإخلاص يتشعب اليقين والخوف والمحبة والإجلال والحياء والتعظيم"[1].

وعليه لا صلاح لعمل عامل حتى يطهر قلبه ويتجه إلى ربه وحده.

و- العصمة من الذنوب ومغفرتها لمن وقع فيها

إنَّ إخلاص العمل لله تعالى وإخلاص الوجهة له سبحانه من أعظم أسباب صرف الإنسان عن المعاصي والذنوب ومغفرتها، ولقد أعطانا الله في كتابه مثلاً جلياً على ذلك؛ حيث قال ﷻ بعد أن صرف عن نبيه يوسف عليه السلام المعصية: ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ** ﴾ [سورة يوسف:٢٤] (قُرأت بفتح اللام وكسرها؛ أي ﴿ **ٱلْمُخْلِصِينَ** ﴾)[2].

---

(١) المحاسبي، **رسالة المسترشدين**، ص١٧٠.

(٢) قال الطبري -رحمه الله-: "اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأه عامة قراء المدينة والكوفة بفتح اللام من (المخلَصين) بتأويل: إن يوسف من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا. واخترناهم لنبوتنا ورسالتنا. وقرأ بعض قراء البصرة بكسر اللام بمعنى أن يوسف من عبادنا الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا... هما قراءتان متفقتان في المعنى. وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختاره فهو مخلص لله التوحيد والعبادة. ومن أخلص توحيد الله وعبادته. فلم يشرك بالله شيئاً فهو ممن أخلصه الله" انظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١٢ ص١٩١.

فبسبب إخلاصه -كما دلت قراءة كسر اللام- كانت النجاة من المعصية ومن الوقوع في الفاحشة، وقد تهيأت له الظروف كلها كي يقع في ظلمتها؛ لكن يأبى الله تعالى إلاّ أن يحفظ عباده المخلصين من أن يراهم على حال لا يرضى فيها عنهم.

وفي ذلك يقول ابن القيم -رحمه الله-: "كلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص كانت محبته بعشق الصور أشد، وكلما كان أكثر إخلاصاً، وأشد توحيداً كان أبعد عن عشق الصور، ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من العشق لشركها، ونجا منها يوسف الصديق عليه السلام بإخلاصه"(١).

ويقول شيخه ابن تيمية -رحمه الله-: "فإذا ذاق العبد طعم الإخلاص وقوي في قلبه انقهر له هواه بلا علاج"(٢).

فأعظم ثمرات الإخلاص العصمة من الذنوب والمعاصي؛ كما أنَّ ذلك في نفس الوقت علامة من علامات المخلصين كما سيأتي -إن شاء الله-.

وإضافة إلى العصمة من الوقوع في المعاصي، فإنَّ الإخلاص سبب من أسباب مغفرتها، فكلنا يعرف حديث النبي ﷺ عن الرجل الذي مرَّ في الطريق فوجد غُصن

---

(١) ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، ج٢ ص١٤١.

(٢) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج٦ ص١٨٨.

شوك على الأرض فأخره عنها فشكر الله له فغفر له[1]، وحديث النبي ﷺ عن المرأة البغي التي سقت الكلب فغفر لها[2]، وكلا الحديثين في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ.

فالناظر في الحديثين يجد أنَّ الله غفر للرجل بعمل سهل، وغفر للبغي بعمل وضيع في أعين الناس، فما هو سبب هذه المغفرة؟

نعود إلى شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– ليجيبنا عن هذا التساؤل، فيقول: "فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها، وإلاَّ فليس كل بغي سقت كلباً يُغفر لها، وكذلك هذا الذي نحى عصى الشوك عن الطريق فعله إذ ذاك بإيمان خالص وإخلاص قائم بقلبه فغفر له بذلك، فإنَّ الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص"[3].

ز- الحفظ من الشيطان

من ثمرات الإخلاص الحفظ من الشيطان ووساوسه، وفي ذلك يقول ابن القيم –رحمه الله–: "قال تعالى في سورة الحجر حكاية عن إبليس: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾** ﴾ [سورة الحجر: ٣٩-٤٠]، فلَما علم عدو الله أنَّ الله تعالى لا يسلطه على أهل التوحيد

---

(١) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٦٢٤). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (١٩١٤).

(٢) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٣٢٨١). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٢٤٥).

(٣) ابن تيمية، **منهاج السنة**، ج٦ ص٢٢١.

والإخلاص قال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة ص:٨٢ -٨٣]، فعلم عدو الله أنَّ من اعتصم بالله وأخلص له وتوكل عليه أنَ!ه لا يقدر على إغوائه وإضلاله، وإنَّما يكون له السلطان على من تولاه وأشرك مع الله فهؤلاء رعيته، فهو وليهم وسلطانهم"[1] .

فأهل الإخلاص لا سبيل للشيطان عليهم، وهو ممنوع عنهم؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فقد تبين أنَّ إخلاص الدين لله يمنع من تسلط الشيطان ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب"[2].

وكذلك قال شارح العقيدة الطحاوية: "أخبر الله تعالى أنَّ تسلط الشيطان إنَّما هو على الذين يتولونه، والذين هم به مشركون، فلما تولوه دون الله وأشركوا به معه عوقبوا على ذلك بتسليط الله إياه عليهم، وكانت هذه الولاية والإشراك عقوبة خلو القلب وفراغه من الإخلاص"[3] .

فالمخلص محفوظٌ بأمر الله ﷻ من كيد الشيطان ومكره.

---

(١) ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، ج١ ص٩٨ و٩٩ بتصرف واختصار.

(٢) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج٨ ص٢٢.

(٣)لابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق أحمد شاكر، ص٤٤٤.

حـ تفريج الكرب والنجاة من المصائب

من آثار الإخلاص على العبد المخلص تفريج الكرب والنجاة من المصائب، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة يونس: ٢٢-٢٣]؛ إذ أوضحت هذه الآية أنَّ الدعاء بإخلاص لله تعالى وتجريد الوجهة له كان سبب النجاة من ذاك الكرب.

وكذلك حديث الثلاثة الذين أخبر عنهم النبي ﷺ ممن كانوا قبلنا؛ الذين أووا إلى الغار فانسد عليهم بصخرة، فكان سبب خلاصهم دعاءهم الله تعالى بخالص أعمالهم، وإليك الحديث كاملاً كما جاء في كتب السنة، فعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**انطَلَقَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ**(١) **مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ المَبيتُ إِلى غَارٍ فَدَخلُوهُ، فانْحَدرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ .. قَالَ رجلٌ**

---

(١) نفر: هو اسم جمع، يقع على جماعة الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة، ولا واحد له من لفظه. **النهاية**، ج٥ ص٩٣.

مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كبيرانِ، وكُنْتُ لا أغْبِقُ[1] قَبْلَهُمَا أهْلاً ولاَ مالاً، فَنَأَى[2] بِي طَلَب الشَّجَرِ يَوْماً فلم أَرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُما نَائِمَينِ، فَكَرِهْتُ أنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أغْبِقَ قَبْلَهُمَا أهْلاً أو مالاً، فَلَبَثْتُ -والْقَدَحُ عَلَى يَدِي- أنتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرِقَ الفَجْرُ والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ[3] عِنْدَ قَدَمِيَّ، فاسْتَيْقَظَا فَشَرِبا غَبُوقَهُما؛ اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابتِغَاء وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ، فانْفَرَجَتْ شَيْئاً لا يَسْتَطيعُونَ الخُروجَ مِنْهُ.

وقالَ الآخر: اللَّهُمَّ إنَّهُ كانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمّ، كَانَتْ أَحَبَّ النّاسِ إليَّ -وفي رواية: كُنْتُ أُحِبُّها كأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النساءَ- فأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا[4] فامْتَنَعَتْ منِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمئةَ دينَارٍ عَلَى أنْ تُخَلِّيَ بَيْني وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا -وفي رواية: فَلَمَّا قَعَدْتُ بَينَ رِجْلَيْهَا-، قالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إلاّ بِحَقِّهِ[5]، فَانصَرَفْتُ عَنْهَا وَهيَ أَحَبُّ النَّاسِ إليَّ وَتَرَكْتُ

---

(١) لا أغبق: أي ما كنت أقدم عليهما أحداً في شرب نصيبهما من اللبن الذي يشربانه. والغبوق شرب آخر النهار مقابل الصبوح. **النهاية**، ج٣ ص٣٤١.

(٢) نأى: بَعُد.

(٣) أي: يتصايحون ويبكون.

(٤) كناية عن الوقوع في الحرام والعياذ بالله.

(٥) الفض: الكسر والفتح، والخاتم كناية عن الفرج وعذرة البكارة، وحقه التزويج المشروع. ابن علان المكي، **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**، ج١ ص٨٤.

الذَّهَبَ الَّذِي أعْطَيتُها. اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فيهِ، فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا .

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وأَعْطَيْتُهُمْ أجْرَهُمْ غيرَ رَجُل واحدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهبَ، فَثمَّرْتُ أجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنهُ الأمْوَالُ، فَجَاءنِي بَعدَ حِينٍ، فَقالَ: يَا عبدَ الله، أَدِّ إِلَيَّ أجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أجْرِكَ: مِنَ الإبلِ وَالبَقَرِ والْغَنَمِ والرَّقيقِ، فقالَ: يَا عبدَ الله، لاَ تَسْتَهْزِئْ بي! فَقُلْتُ: لاَ أسْتَهْزِئ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتَاقَهُ فَلَمْ يتْرُكْ مِنهُ شَيئاً. اللَّهُمَّ إنْ كُنتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحنُ فِيهِ، فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»[1].

فانظر كيف فرَّج الله عنهم بإخلاصهم في أعمالهم وأنقذهم مما هم فيه، فلولا الإخلاص لبقيت الصخرة سادّة عليهم الغار، ولماتوا جميعاً وكانوا نسياً منسياً؛ لكنَّ الإخلاص جعلهم مخلدين في الذكر إلى يوم القيامة على لسان نبيه محمد ﷺ من بعد أن نجاهم الله مما كانوا فيه من موت محقق.

ويروى عن سعد رضي الله عنه أنَّه قال: "لما كان فتح مكة أمَّن رسول الله ﷺ الناس إلاّ أربعة نفر وامرأتين، وقال: «**اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة؛**

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٢١٠٢)، ورقم (٢٢٧٢). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٧٤٣).

عكرمة، وعبد بن خطل، ومقيس بن حبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح»، فأما ابن خطل فأُدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث ﷺ وعمار بن ياسر ﷺ فقتله سعيد، وأما مقيس فأدركه الناس في السوق فقتلوه، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم ريح عاصف، فقال أصحاب السفينة: أخلصوا في البحر، فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ها هنا. فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني في البحر إلاّ الإخلاص ما ينجني في البر غيره؛ اللهم لك عليّ عهد إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفواً كريماً. قال: فجاء فأسلم، وأما عبدالله بن سعد بن أبي سرح فاختبأ حتى عفا النبي ﷺ عنه"[1].

والشاهد هنا في تصرف الربان أولاً أنَّه طلب ممن على السفينة الإخلاص في الدعاء لله وحده، وهو أمر مركوز في الفطرة؛ كما جاء في الآية في أول حديثنا في هذا الأمر.

وأيضاً إخلاص عكرمة ﷺ في الدعاء، وصدقه العهد مع الله؛ إذ جاء بعد نجاته فأسلم وحَسُنَ إسلامه.

وقد ذكر الإمام الغزالي -رحمه الله- في الإحياء قصة طريفة تخدم ما نتحدث عنه نوردها لطرافتها؛ قال الإمام: "كان رجل يخرج في زي النساء، ويحضر كل

---

(١) ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٣ ص٥٦٧. وابن أبي شيبة، **المصنف**، ج٧ ص٤٠٤.

موضع يجتمع فيه النساء من عُرس أو مأتم، فاتفق أن حضر يوماً موضعاً فيه مجمع للنساء، فسرقت درة، فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نفتش. فكانوا يفتشون واحدة واحدة؛ حتى بلغت النوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه فدعا الرجل الله بالإخلاص، وقال: إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا. فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا أن أطلقوا الحرة (ويقصدون الرجل) فقد وجدنا الدرة"[1].

ونختم هذا المبحث بكلمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال فيها موصياً بعض تلامذته: "عليك بالفرائض وما أوجب الله تعالى عليك من حقه، فأدّه واستعن بالله على ذلك، فإنَّه لا يعلم مِن عبد صدق نية وحرصاً فيما عنده من حسن ثوابه إلاّ أخره عما يكره، وهو الملك يضع ما يشاء"[2].

نعم إنَّه الملك الذي بيده كل شيء يفعل ما يشاء، فإذا أراد صرف السوء عن عبده صرفه، وإذا علم صدق نية العبد وإخلاصه وحرصه على ما عند الله كان معه.

ط- النصر والتمكين في الأرض

النصر والتمكين بيد الله تعالى يؤتيهما من يشاء إذا تحققت الشروط والأسباب، ومن أول هذه الشروط والأسباب الخلاص من حظ النفس والتوجه إلى الله بالكلية

---

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٤ ص٣٧٨.

(٢) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج١ ص٣٢٦.

والإخلاص في كل عمل، وهذا ما أوضحه النبي ﷺ في حديثه، فعن سعد ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ**»[1].

فالإخلاص من هؤلاء الضعفاء كان سبباً في نصر الأمّة ورفعتها، وهنا درس في هذا الحديث لا بد من التنبيه عليه، وهو أنَّ البعض يستهين ببعض الضعفاء وينسى أنَّ الموازين عند الله تعالى ليست بقوة الجسد ولا بكثرة المال، وإنما هي بالتقوى؛ كما قال ﷻ: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ**﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

وروي أنَّ سالم بن عبد الله بن عمر (ت ١٠٦هـ) -رضي الله عنهم جميعاً- كتب إلى عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ) -رحمه الله- يوصيه، فقال في وصيته: "واعلم أنَّ عون الله تعالى للعبد على قدر النية، فإذا تمت نية العبد تم عون الله له، وإن نقصت نقص بقدره"[2].

ولسيد قطب -رحمه الله- كلمة رائقة رائعة تبين أنَّ سبب نصر الصحابة ﷺ وتأثيرهم العجيب الذي غير مجرى التاريخ كان كمال الإخلاص والتجرد لله تعالى؛ حيث قال في كتابه (المعالم): "فلما أن ابتلاهم الله (أي الصحابة) فصبروا، ولما أن فرغت نفوسهم من حظ نفوسهم، ولما أن علم الله منهم أنَّهم لا ينتظرون جزاءً في

---

(١) أخرجه النسائي، **السنن**، رقم (٣١٧٨). وأحمد، **المسند**، ج١ ص١٧٣. وهو حديث صحيح.

(٢) ابن أبي عاصم، **الزهد**، ص٣٠٢.

هذه الأرض، كائناً ما كان هذا الجزاء، ولو كان هو انتصار هذه الدعوة على أيديهم، وقيام هذا الدين في الأرض بجهدهم، ولما لم يعد في نفوسهم اعتزاز بجد ولا بقوم، ولا اعتزاز بوطن ولا بأرض، ولا اعتزاز بعشيرة ولا ببيت.

لما أن علم الله منهم ذلك كله؛ علم أنهم قد أصبحوا إذاً أُمناء على هذه الأمانة الكبرى، أمناء على العقيدة، وأمناء على السلطان الذي يوضع في أيديهم ليقوموا به على شريعة الله ينفذونها، وعلى عدل الله يقيمونها، آتاهم الله نصره"[1].

نعم إنَّ عظمة هذا الدين تأبى أن يحمله الانتهازيون والوصوليون؛ بل لا بد لهذه الأمانة أن يحملها المخلصون المتجردون لله الحي القيوم.

والناظر في أحوال الأمّة يجدها قد مرت في تجارب ومحاولات من أجل النهوض والتمكين والرفعة وتحرير البلاد والعباد، ويرى أنَّ هذه المحاولات وإن كتب لها النجاح في أعين الناس؛ لكنها أخفقت في تحرير الإنسان من عبادة العباد وتوجيهه إلى عبادة رب العباد، وذلك كله لأنَّ الأهداف والغايات في حقيقتها لم تكن لله ولا من أجل دين الله، ولأنَّ النفوس قد تغيرت وانتكست، فمن بعد أن كانت تسبح في عليين ارتكست ووقعت في حمأة الطين، أو لأنَّ المقاليد انتقلت إلى عُبّاد الشهوات والدنانير.

---

(١) سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص٣٥. باختصار وتصرف بسيط.

ورحم الله شيخ الدعاة في القرن المنصرم الذي جعل من أركان دعوته الإخلاص والتجرد، فقال يعرّف الإخلاص: "أن يقصد الداعية بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله، وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر، وبذلك يكون جندي فكرة وعقيدة لا جندي غرض ومنفعة..."[1].

ويقول -رحمه الله- في التجرد: "أريد بالتجرد أن تتخلص لفكرتك مما سواها من المبادئ والأشخاص؛ لأنها أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها"[2].

وما هذا التقعيد من الشيخ إلاّ لعلمه -رحمه الله- أنَّ الدعوات لا تقوم إلاّ على أيدي المخلصين المتجردين، ولا أمل لها بالنصر والتمكين إلاّ إذا كان الله تعالى هو غاية حامليها وحده.

ولم يكن كلام هؤلاء الدعاة المحُدَثين إلاّ رجع صدى لأسلافهم من علماء الأمّة ودعاتها السابقين، فقد سبق ابن القيم -رحمه الله- ببيان هذه الحقيقة عندما

---

(١) حسن البنا، **مجموعة رسائل**، ص٣٥٩ بتصرف.

(٢) البنا، **مجموعة رسائل**، ص٣٦٣. وأظن الشيخ يقصد بـ"فكرتك" هذا الدين العظيم، لا حزباً معيناً ولا قالباً محدداً، ولا مسمى آخر غير الإسلام، وبخاصة أنه كان يرى دعوته روحاً تسري في الأمّة، ودعوته هي الإسلام -والله أعلم-.

شرح كلام أمير المؤمنين عمر ﷺ: "فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس فيه شانه الله"؛ إذ يقول في كتابه (إعلام الموقعين): "فإذا قام العبد بالحق على غيره وعلى نفسه أولاً، وكان قيامه بالله ولله لم يقم له شيء، ولو كادته السماوات والأرض والجبال لكفاه الله مؤنتها، وجعل له فرجاً ومخرجاً، وإنما يؤتى العبد من تفريطه وتقصيره في هذه الأمور الثلاثة أو في اثنين أو في واحد.

فمن كان قيامه في باطل لم ينصر، وإن نصر نصراً عارضاً فلا عاقبة له، وهو مذموم مخذول. وإن قام في حق لكن لم يقم فيه لله، وإنما قام لطلب المحمدة والشكور والجزاء من الخلق أو التوصل إلى غرض دنيوي كان هو المقصود أولاً والقيام في الحق وسيلة إليه، فهذا لم تُضمن له النصرة. فإنَّ الله إنَّما ضمن النصرة لمن جاهد في سبيله وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا؛ لا لمن كان قيامه لنفسه ولهواه، فإنه ليس من المتقين ولا من المحسنين"[1].

إنَّ كلام ابن القيم -رحمه الله- هذا يبين للدعاة سبب تأخر التمكين لهم في الأرض، فيا معاشر الدعاة صفُّوا القلوب لله، واجعلوا غايتكم واحدة، وهي الله ورفعة هذا الدين، ولا تجعلوا الأهواء والشهوات تتجاذبكم عن هذه الغاية من حيث تشعرون ومن حيث لا تشعرون، وثقوا بنصر الله لكم إذا صدقتم في

---

(١) ابن القيم، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ج٢ ص١٢١.

توجهكم، وأخلصتم نياتكم بعد أن تأخذوا بالأسباب وعلى رأسها التزام أحكام شرع الله تعالى قولاً وعملاً، وعدم التفريط في شيء منها، مهما ظن الظانون صغر حجمه وقلة تأثيره.

ي. البركة في الأعمار والأعمال

كلنا يشتكي قلة الوقت وضيقه وبخاصة عندما يقرأ المرء في سير السابقين من سلف الأمّة وعلمائها، وكلنا يشتكي قلة تأثيره في الناس أثناء دعوتهم ويتساءل عن سبب ذلك، ويقارن نفسه بالسابقين فيجد نفسه لا شيء إن لم يكن عيبة من عيبات الزمان أمامهم.

ولقد اشتكى ثلة من طلاب العلم إلى شيخهم حمدون بن أحمد النيسابوري (ت ٢٧١هـ) -رحمه الله- فقالوا: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: "لأنَّهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس، وطلب الدنيا، ورضا الناس"[1].

نعم إنَّ الإخلاص هو الفارق بين كلامنا وكلام القوم؛ لذلك نجدهم غيرنا؛ على الرغم من الدعاوى التي ندعيها، وإليك بعضاً من صور إخلاصهم؛ لترى كيف كان هذا الإخلاص سبب بركة في أعمارهم وأعملاهم:

---

(١) ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج٤ ص١٢٢.

روي أنَّ الإمام الماوردي (ت ٤٥٠هـ) -رحمه الله- لم يظهر من تصانيفه شيئاً في حياته، وكان قد جمعها في موضع، فلما دنت منيته قال لمن يثق به: "الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصانيفي، وإنَّما لم أظهرها لأنَّي لم أجد نية خالصة، فإذا عاينت الموت ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي، فإن أنا قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها، فاعمد إليها وألقها في دجلة، وإن أنا بسطت يدي فاعلم أنها قبلت". قال الرجل: فلما احتضر وضعت يدي في يده فبسطها فأظهرت كتبه"[1].

ومن بركة هذا الإخلاص الذي امتلأ به قلب الإمام الماوردي أنَّ الأمّة ما زالت منذ قرابة الألف عام وإلى اليوم تنهل من كتبه؛ بل ما زال كتابه (الأحكام السلطانية) الكتاب الأول في مراجع الفقه السياسي في الإسلام؛ بل ومرجعاً في دول الغرب، وما زلنا إلى اليوم نترحم عليه، فرحمه الله تعالى، وجمعنا وإياه في جنان النعيم بصحبة نبينا محمد ﷺ.

وليس الماوردي وحده الذي بورك له في جهده؛ بل كانت هذه البركة تحف آلافاً من علماء الأمّة ممن وصلت إلينا مؤلفاتهم، فكلنا يعرف الإمام النووي -رحمه الله تعالى- وما تركه من ذخيرة علمية، والعجيب في ذلك أنَّه لم يُعَمر كثيراً؛ حيث

---

(١) ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج٤ ص١٢٢.

قيل إنَّه توفي وهو ابن ٣٤ عاماً، وترك ما ترك من ذخائر العلم[١].

وكذلك الأمر مع شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- الذي يقول عنه تلميذه ابن القيم -رحمه الله- إنَّه كان يكتب في اليوم ما يعجز الوراق عن كتابته في جمعة[٢]، وكل هذا ببركة إخلاصهم.

ومما يذكر في هذا المجال أنَّه ما من طالب علمٍ إلاّ ويعرف -إن لم يكن قرأ ودرس- متن الآجروميه في النحو لمؤلفه محمد بن محمد الصنهاجي (ت ٧٢٣هـ)، ولهذا المؤلف قصة مع مؤَلَفه؛ إذ يروى أنَّ هذا العالم عندما ألف متنه هذا في النحو ألقاه في البحر، وقال: "إن كان خالصاً لله تعالى فلا يبل"؛ علاوة على أن يغرق أو يتلف، وبالفعل ألقاه فكان أن بقي المؤَلَف على حاله[٣]؛ لأنَّه كان كما نواه خالصاً لله، ومن بركة هذا الإخلاص أن بقي هذا المتن يُدرَّس إلى يومنا هذا، وقام بشرحه والعناية به علماء أجلاء.

إنَّ السر وراء هذه البركة الإخلاص ولا شيء غير الإخلاص، وللشيخ أبي غدة -رحمه الله- كتاب قيم أسماه (قيمة الزمن عند العلماء) جمع فيه حكايات أهل

---

(١) انظر ترجمته: السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٨ ص٣٩٥.

(٢) ابن القيم، **الوابل الصيب في الكلم الطيب**، ص١٠٨.

(٣) الكفراوي، **شرح العلامة الكفراوي على متن الآجرومية**، ص٥.

العلم في استثمارهم لأوقاتهم وأعمارهم تظهر فيه البركة والتأييد الإلهي لهم.

ك ـ النجاة من الفتن

النجاة من الفتن أثر عظيم من آثار إخلاص النية لله تعالى، فقد جاء في الحديث عن معاذ ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَإِنَّ مَنْ عَادَى لله وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الأَبْرَارَ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ**»[1].

والغبراء المظلمة هي الفتن التي تعصف بالأمّة في كل زمان، وبالبر والتقوى والإخلاص ينجو فئام من الناس من الوقوع فيها.

وفي تقلبات الحياة وما مرَّ بنا من فتن رأينا أقواماً يؤتون الهدى من الله ﷻ في كل فتنة، فتراهم على الحق دوماً في أقوالهم وأعمالهم لا ينحرفون ولا يزيغون ثابتين عليه ثبوت الشُمِّ الرواسي؛ ذلك لأنَّ الإخلاص عَمَر قلوبهم بنوره، ونيتهم المتوجهة إلى الله وحده هي التي توجههم، فينالون الهدى في كل شؤونهم وأحوالهم؛ هذا بالإضافة إلى البر والتقوى الذي ملأ حياتهم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، **السنن**، رقم (٣٩٨٩). والحاكم، **المستدرك**، ج١ ص٤، وقال صحيح لا علة فيه ووافقه الذهبي.

وعن هؤلاء يقول الإمام علي ﷺ: (طوبى لكل عبد نؤمة: عـرف النـاس، ولم يعرفه الناس، عرفه الله برضوان؛ أولئك مصابيح الهدى يكشف الله عـنهم كـل فتنـة مظلمة، سيدخلهم الله في رحمة منه، ليس أولئك بالمذاييع البـذر)[1]؛ أي الـذي يفـشي السر ويطلع الناس على أحواله.

وهنا يكمن السر في سقوط من يسقطون في كل فتنة مضلة؛ مظلمـةً كانـت أو مبصرة؛ إنَّه طلب الشأن عند الناس، وطلـب الرياسـة بـين النـاس، والحـرص عـلى حطام هذه الدنيا الزائل.

نسأل الله تعالى أن ينور قلوبنا بهداه، وأن يملأها بتوحيده وبـالإخلاص لـه في كل حين وفي كل شأن، ونسأله الثبات في المحيا وعند الممات، ويوم يقوم الأشهاد.

---

(١) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج١ ص٧٦.

المبحث الثالث
من علامات أهل الإخلاص

لأهل الإخلاص علامات استقرأها أهل العلم من خلال النصوص الشرعية والبحث في أحوال السلف وأقوالهم، ومن تلك العلامات والصفات:

أولاً- اتهام النفس بالتقصير وعدم العجب وترك تزكية النفس

أولى علامات أهل الإخلاص أنَّهم دائماً يتهمون أنفسهم بالتقصير تجاه ما قدموه أو يقدمونه لدين الله، ونتيجةً لهذا الشعور فهم بعيدون عن العُجب سواء بأعمالهم أو بأنفسهم، وتجدهم كذلك يبتعدون عن تزكية أنفسهم؛ بمعنى مدح النفس والثناء عليها.

فالمؤمن دوماً يساوره قلق بأنَّ الله ﷻ قد لا يتقبل منه أعماله؛ وهذا ما يبينه حديث السيدة عائشة -رضي الله عنها- لَمَّا سألت النبي ﷺ عَمَّن يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾[سورة المؤمنون:٦٠]، أَهُمْ الذين يَسرقون ويزنون ويشربون الخمر وهم يخافون الله ﷻ؟ فقال ﷺ: «**لا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾** [سورة المؤمنون:٦١]»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي، **الجامع**، رقم (٣١٧٥). وابن ماجه، **السنن**، رقم (٤١٩٨). وأحمد، **المسند**، ج٦

وهذا الشعور وهذا الخوف من عدم القبول هو عنوان العبودية الصادقة لله تعالى؛ لذلك كان دوماً يقض مضاجع العُبّاد من سلف هذه الأمّة؛ ذكر ابن الجوزي -رحمه الله- في كتابه (صفة الصفوة) أنَّ ابن عمر -رضي الله عنهما- جاءه سائل، فقال لابنه: (أعطيه ديناراً)، فلما انصرف قال له ابنه: "تقبّل الله منك يا أبتاه"، فقال ﷺ: (لو علمت أنَّ الله يقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحبّ إليّ من الموت، أتدري ممن يتقبل الله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة:٢٧])[1].

وجاء عن فضالة بن عبيد ﷺ أنَّه قال: (لأن أعلم أنَّ اللهَ تَقَبَّل منِّي مثقال حبة من خردل أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها؛ لأنَّ الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة:٢٧])[2].

فإذا كان هذا حال صحابة رسول الله ﷺ، وخاصة ابن عمر المعروف بكثرة عبادته، وفضالة الذي كان من أهل الصُّفَة؛ بمعنى أنَّه كان من أكثر الناس ملازمة للنبي ﷺ، فماذا نقول نحن؟

ص٢٠٥. وصححه الألباني في **صحيح الترمذي**، رقم (٢٥٣٧)، **وصحيح ابن ماجه**، رقم (٤١٩٨).

(١) ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج١ ص٥٧٦.

(٢) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٢ ص١٧.

وهذا السري السُقطي (ت ٢٥٣هـ) -رحمه الله تعالى- يقول: "ما أُحبُّ أَنِّي أموتُ حيثُ أُعرف. فقيل له: ولم ذاك يا أبا الحسن؟ قال: أخافُ أن لا يَقبَلني قبري فأُفتضح"[1].

وفي مقابل هذه المواقف نجد البعض يُدلُ ويمن على الله تعالى إذا قام ببعض الفرائض؛ حتى لو كان أداؤه لها بشكل منقوص، وينسى أنَّه هو الذي بحاجة إلى ذلك العمل، وينسى أيضاً أنَّ الله هو الذي وفقه للقيام بالعمل؛ يقول الحارث المحاسبي -رحمه الله- مبيناً خطورة الإعجاب بالأعمال: "انفوا الإعجاب وحافظوا على أعمالكم أن تستكثروها لربكم ﷻ فيمقتكم الله على ذلك.

واعلموا أنَّ أعمالكم لا تقوم بشكر نعمة واحدة من نعم الله تعالى عليكم؛ بل النعمة الواحدة تستوجب جميع أعمالكم كلَّها، وسائر النعم وافرة وسيطالبكم بشكرها، فما ظنكم؟

وإنَّ أعمالكم بالبر نِعَمٌ من الله عليكم مجددة، فمتى تأتون بشكرها، ولئن شكرتم فإنَّ شكركم لنِعَمٌ مجددة عليكم، ولولا إلهامه إيَّاكم الشكرَ لما شكرتم، ولا توجهتم له أبداً.

---

(١) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٩ ص٢٤٤.

لو عرفتم عظمة الله وكبرياءه وجلاله، والذي هو له أهل لاستحيتم من ذكر أعمالكم، ولو علمتم قدر أيادي الله ونعمه عليكم بشكرها، فكيف تستكثرون أعمالكم المشوبة بالآفات؟ وكيف يعجب بأعماله من كانت الأعمال مناً من الله عليه؟ وعليه من المنن في الدين والدنيا أكثر من أن يحد أو يحصى"[1].

فلِمَ العُجب بالأعمال والأمر على هذا الحال؛ إنَّ الواجب امتثال حال الصالحين الخائفين من عدم القبول.

وإنَّ العُجب بالعمل يولد الإعجاب بالنفس الذي يولّد التقصير في حق الله تعالى ويولّد عصيانه؛ كما قال ابن عطاء -رحمه الله- في الحكم: "أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة وعفة عدم الرضا منك عنها"[2].

ويشرح ابن عبَّاد (ت ٧٩٢هـ) -وهو أحد شُرَّاح الحِكم- هذه الحكمة فيقول -رحمه الله-: "الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة، وعدم الرضا عنها أصل الصفات المحمودة...، وذلك لأنَّ الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها، ويصير قبيحها حسناً؛ كما قيل:

وعَينُ الرِّضَا عن كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلةٌ

---

(١) المحاسبي، **الوصايا: النصائح**، ص١٠٩ باختصار وجيز.

(٢) ابن عباد، **غيث المواهب العلية**، ص٥٦.

وعدم الرضا عن النفس على عكس هذا؛ لأنَّ العبد إذ ذاك يتهم نفسه ويتطلب عيوبها ولا يغتر مما يظهر من الطاعة والانقياد، كما قيل في الشطر الآخر من البيت السابق:

كما أنَّ عَينَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا

فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن إليها، ومن استحسن حال نفسه وسكن إليها استولت عليه الغفلة، وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذٍ دواعي الشهوة على العبد...، ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة، وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه"[1].

وبهذا نفسر سلوك السلف في ذمِّ أنفسهم واستشعارهم أنَّهم ليسوا أهلاً ليكونوا قدوة للناس، فهذا الصحابي الجليل ابن مسعود ﷺ -وهو مَن هو- يتبعه تلامذته بعد درسه فيقول: (لو علمتم ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان)[2].

والتابعي الكبير سفيان الثوري -رحمه الله- يتكاثر عليه أصحاب الحديث يوماً بمكة يريدون منه أن يروي لهم الحديث فيقول: "إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون أخاف

---

(١) ابن عباد، **غيث المواهب العلية**، ص٥٦ باختصار وجيز.

(٢) الدارمي، **السنن**، ج١ ص١٤٤.

أن يكون الله ضيّع هذه الأمّة؛ حيثُ احتيجَ إلى مِثلي"[1].

وكان -رحمه الله- إذا جلس في مجلس الإملاء يجلس مرعوباً خائفاً، فإذا مرَّت السحابة فوقه سكت حتى تمر، ويقول: "أخاف أن يكون فيها حجارة ترجمنا"[2].

ولم يكن هذا حال سفيان الثوري وحده؛ بل كان له مماثلون كثر، فهذا سَميه سفيان بن عيينه (ت ١٩٨هـ) -رحمه الله- شيخ الحجاز في زمانه كان إذا طُلب منه الجلوس للتحديث قال: "والله ما أراكم أهلاً لأن أحدثكم، ولا أرى نفسي أهلاً أن تسمعوا مني، وما مَثلي ومَثلكم إلاّ كما قال القائل: افتضحوا فاصطلحوا"[3].

وهذا التابعي مُطرِّف بن عبد الله يقف في عرفة في إحدى سنوات الحج فينظر إلى أهل الموقف ثم يقول: "اللهم لا تردهم من أجلي"[4].

ويقف بكر بن عبد الله المزني (ت ١٠٨هـ) موقفه، فيقول: "ما أشرفه من مقام وأرجاه لولا أنِّي فيهم"[5].

---

(١) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٧ ص٦٤.

(٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٧ ص٢٦٠ الرسالة.

(٣) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٨ ص٤٦٧ الرسالة.

(٤) ابن الجوزي، **المدهش**، ص١٤٧.

(٥) ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج٢ ص٢٤٨.

وقيل يوماً لمحمد بن مقاتل (ت ١٨٤هـ): "ادعُ الله لنا". فبكى -رحمه الله- وقال: "ليتني لم أكن أنا سبب هلاككم"[١].

وذاك محمد بن أسلم الطوسي (ت ٢٤٢هـ) -رحمه الله- يقول: "والذي لا إله إلاّ هو ما رأيت نفساً تصلي إلى القبلة شراً عندي من نفسي"[٢].

وَبِشْر بن الحارث الحافي (ت ٢٢٧هـ) إمام أهل الورع والزهد يقول: "لقد شهرني في الدنيا فليته لا يفضحني في القيامة؛ ما أقبح مثلي!! يُظَنّ فيّ ظن وأنا على خلافه، إنَّما ينبغي لي أن أكون أكبر مما يظن بي، إنِّي أكره الموت وما يكره الموت إلاّ مُريب، ولولا أنِّي مريب، لأيِّ شيء أكره الموت!".

وكان يقول -رحمه الله-: "اللهم استر واجعل تحت الستر ما تحب، فربما سترت على ما تكره"[٣].

ويرى ابن عطاء -رحمه الله- أنَّ صحبة الجاهل الذي لا يرضى عن نفسه خير من صحبة العالم الراضي عن نفسه؛ ذلك لأنَّ الرضا عن النفس جهل لا يوازيه جهل؛ إذ يقول: "لأَنْ تصحبَ جاهلاً لا يرضى عن نفسه خيرٌ لك من أن تصحب

---

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٣٤٢.

(٢) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٩ ص٢٤٤.

(٣) ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج٢ ص٣٢٦.

عالماً يرضى عن نفسه، فأيُّ علمٍ لعالم يرضى عن نفسه؟ وأيُّ جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه"[1].

ويعد ابن القيم -رحمه الله- أنَّ من إرادة الله ﷻ بالعبد الخير أن يجعله الله لا يعجب بعمله، ولا يقنع بقرباته، ويرى أنَّ العبد متى أعجب بعمله ورضي به فإنَّ عمله يرد عليه؛ حيث يقول: "فإذا أراد الله بعبده خيراً أشهده منته وتوفيقه وإعانته له في كل ما يقوله ويفعله فلا يعجب به، ثم أشهده تقصيره فيه، وأنَّه لا يرضى لربه به، فيتوب إليه منه ويستغفره ويستحي أن يطلب عليه أجراً، وإذا لم يشهده ذلك وغيبه عنه فرأى نفسه في العمل ورآه بعين الكمال والرضا، لم يقع ذلك العمل منه موقع القبول والرضا والمحبة"[2].

فالعُجب بالعمل سبب من أسباب عدم قبول العمل عند الله تعالى، والعارف بالله تعالى حق المعرفة لا يمكن أن يُعجب بعمله؛ لعلمه أنَّه مهما قدم فهو مقصر.

والعُجب بالعمل يولّد أيضاً الكبر في النفس، وللكبر مظهران بارزان أشار إليهما رسول الله ﷺ وحدد بهما معنى الكبر؛ كما جاء في قوله ﷺ: «**الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ**

---

(١) ابن عباد، **غيث المواهب العلية**، ص٥٨.

(٢) ابن القيم، **الفوائد**، ص٢٢٣.

وَغَمْطُ النَّاسِ»[1]، وغمط الناس هو احتقارهم وازدراؤهم، وبطر الحق هو رفضه.

ومن غمْط النَّاس اعتزال أهل المعاصي لا لمعاصيهم؛ بل لأنَّ المعتزل يرى نفسه خيراً منهم، ولكي لا يقال فيه إنَّه يخالطهم، فيظهر نفسه بذلك أنَّه من أهل الصلاح.

وليست مخالطة أهل المعاصي في غير حال معصيتهم محرمة؛ بل قد تكون قربة إلى الله ﷻ إذا استثمرها الإنسان في الدعوة والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كذلك مَن منا لا يعصي الله؟ فكل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون؛ كما صحّ عن النبي ﷺ[2].

ومن غمْط الناس الممزوج بالرياء أن يستغيب المرء أخاً من إخوانه في الله أو ينتقد عالماً على خطأ من الأخطاء في ثوب الدعاء له بالهداية والصواب، وهو في الواقع يريد أن يظهر أنَّه بعيد عن ذلك العيب الذي في أخيه أو يريد رفع نفسه فوق رتبة ذلك العالم وما شابه.

ورفض الحق من أعظم علامات أهل الرياء؛ يقول الحافظ الذهبي -رحمه الله-: "علامة المخلص الذي قد يحب شهرة ولا يشعر بها أنَّه إذا عوتب في ذلك لا

---

(١) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٩١). والترمذي، **السنن**، رقم (١٩٩٩) عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه الترمذي، **السنن**، رقم (٢٤٩٩). وابن ماجه، **السنن**، رقم (٤٢٥١) عن أنس.

يجرد ولا يبرئ نفسه؛ بل يعترف ويقول: رحم الله من أهدى إليّ عيوبي، ولا يكن معجباً بنفسه لا يشعر بعيوبها؛ بل لا يشعر أنَّه لا يشعر فإنَّ هذا داء مزمن"[1].

فهذه علامة يعُدُّها الإمام الذهبي لمخلص يحب الشهرة ولا يشعر، فكيف بمن ملأ الرياء قلبه؟!

إنَّ المخلص المتجرد لله ﷻ وقَّاف عند الحق مهما كان له في ذلك خسارة مادية أو معنوية، وكلنا يعرف قصة أبي ذر الغفاري مع بلال –رضي الله عنهما– عندما قال الأول للثاني يا ابن السوداء، فعاتبه النبي ﷺ على ذلك، فما كان من أبي ذر إلاّ أن وضع خده على الأرض، وقال لبلال: "دُس على الخد الثاني"، وإذا ببلال يرفعه عن الأرض"[2].

وكلنا يعرف قصة عمر ﷺ عندما أراد تحديد المهور فعارضته امرأة فقال ﷺ: (أصابت امرأة، وأخطأ عمر)[3]، وهو في ذلك الوقت الخليفة.

هذا حال المخلصين الصادقين المتواضعين الخافضين جناحهم للمؤمنين.

وتكمن خطورة الكبر أنَّه مانع لدخول الجنة؛ كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ

---

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٧ ص٣٩٣ الرسالة.

(٢) انظر أصل القصة في البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٣٠).

(٣) ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وتحصيله**، ص١٧٩.

أنَّه قال: «**لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّة مِنْ كِبْرٍ**»[1].

ونتيجة أخرى من نتائج الإعجاب بالنفس هي تزكيتها، وهذا أمر نهى الله عنه في كتابه العزيز بقوله: ﴿ **فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ** ﴾ [سورة النجم:٣١]، وذم الله اليهود والنصارى؛ لأنَّهم كانوا يزكّون أنفسهم، فقال: ﴿ **أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا** ﴾ [سورة النساء:٤٩]. ويقصد بالتزكية الثناء على الذات وبيان فضائلها بذكر الأعمال الصالحات والخصائص التي تمتاز بها[2]، وغالباً ما يكون دافع التزكية هذه الطمع في الرياسة والمناصب الدينية والدنيوية، وينسى الإنسان أنَّ هذه الرياسة وهذا المنصب أمانة، وأنَّ هذه الأمانة خزي وندامة لمن فرَّط بها أو قصر.

ولقد بيّن النبي ﷺ أنَّ هناك خطرين عظيمين إذا أصابا امرءاً أضاعا دينه ودنياه، وهما الحرص على المال والحرص على الشرف والمنزلة، فقد روى كعب بن مالك رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٩١). والترمذي، **السنن**، رقم (١٩٩٩) عن ابن مسعود.

(٢) انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٥ ص٢٤٦. والآلوسي، **روح المعاني**، ج٥ ص٥٤.

(٣) أخرجه الترمذي، **السنن**، رقم (٢٣٧٦)، وقال حديث حسن صحيح.

فليس هناك شيء يفسد دين الإنسان مثل الحرص على المال والحرص على الشرف والمكانة؛ لأنَّ الإنسان إذا وقع فيهما لم يبال أي السبل سلك في تحصيلهما، ونحن نرى أقواماً يبيعون أعراضهم من أجل المال، ونرى أقواماً آخرين قَتلوا وقُتلوا في سبيل الكراسي والرياسة والمكانة؛ قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: "ما من أحدٍ أحبَّ الرئاسة إلاّ حسد، وبغى، وتتبع عيوب الناس، وكره أن يذكر أحد بخير"[1].

وكل هذه الصفات من صفات المرائين كما ظهر في هذه الدراسة؛ لذلك حري بالمؤمن أن يكون وقَّافاً عند حدود الله تعالى، فحب المال وحب الشرف غريزتان في النفس لا تنمحيان منها، وما على المسلم إلاّ تهذيبهما بالتزام شرع الله تعالى.

وإنَّ الشيطان قد يدفع الإنسان إلى تزكية نفسه بأسلوب ملتوٍ، فقد يأتي المرء من قبل عيب الآخرين؛ لأنَّه بعيبه لهم يكون قد زكى نفسه بنجاته وسلامته من هذا العيب الذي اتهم به غيره، فيقول فلان لا يقوم الليل أبداً، وفلان لا تجود يده بالخير على الرغم أنَّه أكثر مالاً مني، ومراده أن يقول: أنا لست مثلهم فلي حظ من صلاة وصيام وصدقة، وينسى هؤلاء أنَّهم ضموا إلى سوء النية الغيبة وتجريح الناس بغير حق.

---

(١) **جامع بيان العلم وفضله**، ص٢٠١.

ثانياً ـ العمل بصمت وإخفاء الأعمال

من علامات أهل الإخلاص العمل بصمت والبعد عن الأضواء، فليس من دأبهم البحث عن الأماكن التي يوجه الناس أعينهم إليها كي يستعرضوا أنفسهم فيها ويعرضوا أعمالهم على الخلق. وهذا الخلق كان من دأب سلف الأمّة -عليهم الرضوان- في القرون الأولى؛ يقول الحسن البصري (ت ١١٠هـ) -رحمه الله- وهو من التابعين: "كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الأضياف وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سر فيكون في علانية أبداً"[1].

ويقول زين القراء محمد بن واسع (ت ١٢٣هـ) -رحمه الله-: "لقد أدركت رجالاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بَلَّ ما تحت خَدِّه من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خدِّه ولا يشعر به الذي إلى جنبه"[2].

ويقول الإمام الحافظ القدوة عبد الله بن داوود الخُرَيبي (ت ٢١٣هـ) -رحمه

---

(١) ابن المبارك، **الزهد**، ص٤٥.

(٢) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٢ ص٣٤٧.

الله- واصفاً الصحابة ﷺ بقوله: "كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها"[1].

وكان هذا السلوك نابعاً من فهم نصوص الكتاب والسنة، ولم يكن مبتدعاً لا أصل له، فإنَّ الله ﷻ يقول في شأن الصدقة: ﴿ **إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [سورة البقرة:٢٧١].

وكذلك جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله: «**رجل تصدّق بصدقة فأخفاها**»، «**ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»، «**ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إنِّي أخاف الله**»[2]، فهذه الأعمال الثلاثة تمت سراً؛ لذلك استحقت هذا الثواب.

ومن أجل ذلك مرَّ أبو أُمامة ﷺ برجل في المسجد وهو ساجد يبكي، فقال له: "أنت أنت، لو كان هذا في بيتك"[3].

ويقرر أهل السلوك والتربية أنَّ إخفاء العبادات من دلائل العبودية الصادقة

---

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٩ ص٣٥٢.

(٢) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٦٢٩). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (١٠٣١).

(٣) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٢٩٦.

لله تعالى؛ يقول ابن عطاء السكندري -رحمه الله- في حكمه: "استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك"[1]، فلو كان المرء صادقاً في عبوديته لله ﷻ ما حرص أن يعرف الناس بما بينه وبين الله من عمل.

وإخفاء العبادة أمرٌ مطلوب إلاّ ما كان من شعائر الإسلام التي يلزم إظهارها أو يتحتم إظهارها؛ كصلاة الجماعة والحجِّ والجهاد وأمثالها؛ بل إنَّ بعضها فيه الأجر عند إظهاره؛ لأنَّه من شعائر الإسلام؛ لكن يجب على المرء أن يراقب قلبه في ذلك[2].

أما النوافل فالأصل فيها الإخفاء؛ لأنَّ ذلك أقرب إلى الإخلاص، وأبعد عن الرياء؛ كما هو الحال في صلاة النافلة، فقد روى زيد بن ثابت ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ**»[3]؛ فالسنة في صلاة النافلة أن يصليها الإنسان في بيته سراً؛ لأنَّ ذلك أبعد عن الرياء وأقرب للإخلاص، ولأجل أمورٍ أخرى أيضاً ليس هذا مجال بيانها.

ولقد ضرب سلف الأمّة أمثلة رائعة في إخفاء أعمالهم فهذا الربيع بن خَيثَم (ت ٦٤هـ) -والذي قال فيه شيخه الصحابي عبد الله بن مسعود ﷺ: (لو رآك النبي

---

(١) ابن عباد، **غيث المواهب العلية**، ص٢٠١.

(٢) انظر: المقدسي، **مختصر منهاج القاصدين**، ص٢٢٣.

(٣) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٧٢٩٠).

ﷺ لأحبك)- لم يُرَ -رحمه الله- متطوعاً في مسجد قومه قط إلاّ مرة واحدة[1].

وهذا أيوب السختياني (ت ١٣١هـ) سيد فقهاء عصره يقوم -رحمه الله- الليل كلَّه، فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنَّه قام تلك الساعة[2].

وأبو سلمة مسعر بن كدام (ت ١٥٢هـ) -رحمه الله- يقول عنه ابنه محمد: "كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن، فإذا فرغ من ورده لف رداءه، ثم هجع عليه هجعة خفيفة، ثم يثب كما يثب الرجل الذي فقد منه شيء فهو يطلبه، وإنما هو السواك والطهور، ثم يستقبل المحراب فكذلك إلى الفجر، وكان يجتهد على إخفاء ذلك جداً"[3].

وذاك داود بن أبي هند الإمام الثبت أبو محمد البصري فقيه البصرة في زمانه (ت ١٤٠هـ) -رحمه الله- يصوم أربعين سنة لا يعلم به أهله ولا أحد، وكان خزازاً يحمل معه غداءه من عندهم، فيتصدق به في الطريق ويرجع عشياً فيفطر معهم، فيظن أهل السوق أنه قد أكل في البيت، ويظن أهله أنه قد أكل في السوق[4].

---

(١) ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج٣ ص٦١.

(٢) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٣ ص٨. والذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٦ ص١٧ ط. الرسالة.

(٣) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٧ ص٢١٦. وابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج٣ ص١٢٩.

(٤) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٦ ص٣٧٨.

وإظهار الطاعة التي يشرع الإسرار بها ليس محظوراً على الاطلاق؛ بل يشرع إذا أمن المرء على نفسه الوقوع في الرياء، وكان قوياً قد تَمَّ إخلاصه وصغر الناس في عينه.

وكذلك إذا كان الإنسان موضع قدوة وأراد بإظهار عمله حث الناس على الاقتداء به أو تعليمهم فلا بأس في ذلك، فالدال على الخير كفاعله[1]، أو تكون هناك مصلحة عامة متحققة جاز إظهار العمل لأجلها، فقد روي عن جماعة من السلف أنَّهم كانوا يظهرون شيئاً من قرباتهم ليقتدى بهم؛ كما روي عن بعضهم أنَّه قال لأهله حين احتضر: "لا تبكوا عليَّ، فإنِّي ما لفظت بخطيئة منذ أسلمت"[2].

وروي عن أبي بكر بن عياش (ت ٩٤هـ) -رحمه الله- أنَّه قال لابنه يوصيه: "إيَّاك أن تعصي الله تعالى في هذه الغرفة، فإنِّي ختمت فيها اثنتي عشرة ألف ختمة"[3].

فهذا إظهار للأعمال الصالحات مما كان الأصل فيه الإسرار؛ لكن المصلحة اقتضت إظهارها، وبخاصة في ذلك الوقت الذي لا يشك فيه بإخلاص المرء، وهو

---

(١) انظر: النفوسي، **قناطر الخيرات**، ج٣ ص٤٢٦. والمقدسي، **مختصر منهاج القاصدين**، ص٢٢٤.

(٢) المقدسي، **مختصر منهاج القاصدين**، ص٢٢٤.

(٣) المقدسي، **مختصر منهاج القاصدين**، ص٢٢٤.

موقف الاحتضار[1].

هذه حال المخلصين أمَّا غيرهم فيعمد الواحد إلى الحديث عن عمله ونشر فضائله، فكلما قعد مقعداً قال: فعلت كذا، وتصدقت بكذا، ولعله يقول: أنا في الواقع لا أستطيع أن أقوم من الليل أكثر من ساعتين، ولا أستطيع الصيام يومياً، ولكن يكفيني صيام الاثنين والخميس، وهو بذلك يعرض بذكر قيامه وصيامه[2].

بل قد يتشبع الإنسان من هؤلاء بما لم يفعل، فيدعي ما ليس له، فيقول: إنه المجاهد الصابر، وصاحب المواقف المشهورة، وربما زعم أنَّه حصل له أذى في سبيل الله وابتلاء ومحن وهو كاذب في ذلك كله، ويفعل ذلك من أجل أن يحظى بالمنزلة والجاه عند الناس، وهذا حاله أخبث من الأول؛ لأنَّه جمع الرياء والكذب؛ كما ورد في الحديث عن أسماء –رضي الله عنها– أنَّ النبي ﷺ قال: «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ**»[3].

---

(١) للحارث للمحاسبي كلام طريف في هذا المجال. انظر: كتابه: **الرعاية لحقوق الله**، ص٢٥٨-٢٦٥.

(٢) العودة، **عشرون طريقة للرياء**، ص٢٧.

(٣) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٥٢١٩). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢١٢٩). قال النووي في شرح مسلم: "قال العلماء: معناه المتكثر بما ليس عنده بأن يظهر أن عنده ما ليس عنده يتكثر بذلك عند الناس ويتزين بالباطل فهو مذموم؛ كما يذم من لبس ثوبى زور". النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج١٤ ص١١١.

وربما ينتقل الإنسان من بلد إلى بلد آخر فيقدم نفسه لأهل البلد الجديد لا من خلال الأعمال الصالحة التي يعرفونه بها؛ بل من خلال القيل والقال. ومثله ما يفعله بعض المتعالمين فيقول: لازمت الشيخ فلان وأخذت العلم عن الشيخ علان، ويكون ما رآه؛ بل قد تصل السفاهة ببعضهم إلى ادعاء حفظ القرآن وهو لا يستطيع أن يقيم الفاتحة[1].

ومن طرق المراءاة بإظهار العمل إظهاره بأسلوب لطيف خفي؛ كمن يسبّح سراً ويذكر سراً؛ لكنه يحرك شفتيه أو يعبث بسبحته بطريقة لافتة للنظر تدل على أنَّه في حال ذكر لله[2].

ومن ذلك أن يتكلم الإنسان بما يدل على أنَّه يفعل بعض الطاعات؛ كأن يقول: إذا أكثر العبد تلاوة القرآن ذل به لسانه؛ خاصة في قيام الليل، ومراده أنَّه يفعل ذلك ومجربه[3].

وفي هذا المجال يروي الإمام مسلم (ت ٢٦١هـ) عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) -رحمه الله- أنَّه سأل أصحابه: "أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة"؟

---

(١) العودة، **عشرون طريقة للرياء**، ص٢٩-٣٠.

(٢) العودة، **عشرون طريقة للرياء**، ص٣٥.

(٣) العودة، **عشرون طريقة للرياء**، ص٤٠.

فقال حصين بن عبد الرحمن (ت ١٣٠ هـ): "أنا، ثم استدرك -رحمه الله- قائلاً: أما إنِّي لم أكن في صلاة ولكني لدغت"[١].

فانظر إلى هذا الصدق؛ حيث خاف حصين -رحمه الله- أن يظن به من حضر أنَّه في عبادة فيتشبع بما لم يفعل.

ونوفي الكلام بحديث أخرجه ابن ماجه عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**». قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**»[٢].

وهذا شكل من أشكال الرياء والعياذ بالله؛ حيث يُظهر المرء العمل الصالح أمام الناس وهو في حقيقة الأمر صاحب قلب مريض يدفعه لانتهاك حرمات الله تعالى إذا اختلى بها. ولا يعني هذا أن يُظهر المرء سيئاته وأخطاءه فهذا من المجاهرة المنهي عنها؛ بل الأصل في الإنسان أن يستتر إذا ارتكب إثماً، كما جاء في الحديث عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَصَابَ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ**

---

(١) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٢٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه، **السنن**، رقم (٤٢٤٥). وهو حديث حسن.

شَيْئًا فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِي لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللهِ»[1]؛ لكن المقصود بحديث ثوبان السابق هو فساد الباطن الذي يجعل صاحبه يرائي الناس بالعمل الذي ظاهره الصلاح، ويخفي السيئات عن الناس ليس خوفاً من الله، ولكنَّ كي تبقى صورته في أعين الناس براقة، ويحظى بالمكانة والثناء عندهم، وفي ذلك يقول الحارث المحاسبي -رحمه الله-: "الصادق إذا بُلي بالذنب تستر لذلك حياء لغير طلب الرياء، ولما جاء عن الله ﷻ أنَّه لا يحب إظهار المعاصي، وعلى ما أجمع عليه المسلمون أنَّه من أظهر سوءاً فهو المتهتك، وهو أعظم عند الله ﷻ ممن استتر بستر الله تعالى.

والمرائي إنما يستر ذلك ليحمد على الورع وليس بورع، وأن يوهم أنَّه لله ﷻ خائف، تصنعاً منه للعباد ورياءً، ولا ورعاً لله ﷻ ولا حياءً من العباد"[2].

وهنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال كلنا يقع فيه، وهو أنَّ المرء إذا كان في جمع من الناس وقاموا بنوافل وجد عند ذلك خفة في النفس على بعض الطاعات فيقوم فيعملها ولو كان وحده لم يقم بها، فهل هذا من الرياء وإرادة الناس بالعمل؟

---

(١) أخرجه مالك، **الموطأ**، رقم (٣٠٤٨)، والحاكم، **المستدرك**، ج٤ ص٢٧٢ و٤٢٥. وقال حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال الشيخ الألباني: "صحيح" انظر: الألباني، **صحيح الجامع**، رقم (١٤٩).
(٢) المحاسبي، **الرعاية لحقوق الله**، ص٢٧٩.

فأقول: هذا يرجع إلى تفحص النية وحقيقة القصد، فمتى ما خلص كان العمل خالصاً، وإذا أشيب بشائبة الرياء ضاع بقدر ما شيب، وأثم صاحبه بذلك؛ لذلك ليشارك الإنسان الجمع في طاعتهم، ولكن ليحرص على مجاهدة نفسه، فإذا رأى في نفسه النشاط من أجل الناس فقط ولم تفلح المجاهدة فَتَرْكُ العمل أَوْلى فيما يجوز تركه مع الجماعة.

ثالثاً ـ البعد عن الشهرة

من علامات أهل الإخلاص أنَّهم يبعدون عن الشهرة ويحبون خمول الذكر حرصاً منهم على أن لا ينقص شيءٌ من أجورهم، ولقد جاء التحذير من النبي ﷺ من العمل من أجل الاشتهار وطلب الجاه عند الناس، من ذلك ما ذكرناه عن جندب ابن عبدالله رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**»(١).

وفي رواية لابن عمرو -رضي الله عنهما- عند الإمام أحمد: «**مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ مسَامِعَ خَلْقِهِ وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ**»؛ قال الراوي: "قَالَ فَذَرَفَتْ عَيْنَا عَبْدِالله"(٢).

والتسميع بالعمل هو التحدث بالعمل من أجل لفت الأنظار إلى صلاح

---

(١) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٦٤٩٩). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٩٨٦) عن ابن عباس.
(٢) أخرجه أحمد، **المسند**، ج٢ ص١٦٢ و ٢١٢.

عمله.

وجاء عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللهُ يَومَ القِيامَةِ ثَوبَ مَذلّة**»(١).

وفي مقابل ذلك يجعل الله تعالى من أفضل المسلمين مَن أبعد نفسه عن أسباب الشهرة؛ كما جاء في الحديث القدسي عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: «**إنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي مُؤْمِنٌ قَلِيلُ الْحَاذِ**(٢) **ذُو حَظٍّ مِنْ صَلَاةٍ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَكَانَ فِي النَّاسِ غَامِضًا، لَا يُشَارُ عَلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، فَعُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ وَقَلَّ تُرَاثُهُ وَقَلَّتْ بَوَاكِيهِ**»(٣).

هذا هو أفضل أولياء الله عنده ﷻ، لا مَن يسعون إلى الشهرة بكل ثمن، ويجعلون أسمى أُمنياتهم أن يُعرفوا بين الناس.

إنَّ المؤمن همّه أن يُعرف في أهل السماء، وأن تكون له الحظوة عند خالق الأرض والسماء؛ لذلك لا يكترث بسمعة ولا شهرة.

---

(١) ابن ماجه، **السنن**، رقم (٣٦٠٦). وأبو يعلى، **المسند**، رقم (٥٦٩٨). وهو حديث حسن.

(٢) خفيف الحاذ: أي قليل المال خفيف الظهر من العيال. الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، ج١٠ ص١٧.

(٣) أخرجه الترمذي، **السنن**، رقم (٢٣٤٧)، وقال حديث حسن. وابن ماجه، **السنن**، رقم (٤١١٧). والإمام أحمد، **المسند**، ج٥ ص٢٥٢. وضعفه الألباني في: **ضعيف سنن الترمذي**، رقم (٤٠٧).

وكذلك كان من أحب الناس إلى الله المؤمن الخفي، فعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اَللهَ يُحِبُّ اَلْعَبْدَ اَلتَّقِيَّ، اَلْغَنِيَّ، اَلْخَفِيَّ**»[1]؛ أي التقي الذي يتقي محارم الله ﷻ، والغني الذي يستغني عن الناس، والخفي الذي لا يُعرف بينهم.

ويترجم ابن مسعود ﷺ هذا الحديث بوصية لأتباعه فيقول: "كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جُدد القلوب خُلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض"[2].

وهذا الصحابي الجليل بريدة بن الحصيب الأسلمي ﷺ يعد نفسه قد قارف ذنباً عظيماً؛ لأنَّه وقف موقفاً اشتهر فيه، فيقول ﷺ: "شهدت خيبر فقاتلت حتى رُئي مكاني، وعليّ ثوب أحمر فما أعلم أنَّي ركبت في الإسلام ذنباً أعظم منه"[3]؛ أي أنَّه رؤي مكانه في ذلك اليوم وكان يلبس من الثياب ما يميزه، وهو اللون الأحمر.

وصحابي آخر يوصي عبد الله بن محيريز التابعي الجليل (ت ٩٩هـ) بوصية يحثه فيها على البعد عن الشهرة، وهو فضالة بن عبيد ﷺ يقول لتلميذه: "احفظ عني

---

(١) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٩٦٥).

(٢) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٢٧٧.

(٣) الطبراني، **المعجم الكبير**، رقم (٧٦٧). وقال في مجمع الزوائد: أخرجه الطبراني ورجاله ثقات.

ثلاث خصال ينفعك الله بهن؛ إن استطعت أن تَعرِف ولا تُعرف فافعل، وإن استطعت أن تَسمع ولا تتكلم فافعل، وإن استطعت أن تَجلس ولا يُجلس إليك فافعل"[1].

وكما حذر الصحابة ﷺ من يجالسونهم الشهرة حذر التابعون منها كذلك، فها هو سفيان الثوري -رحمه الله- يقول لابن المبارك: "إياك والشهرة فما أتيت أحداً إلاّ وقد نهاني عن الشهرة"[2]؛ لذلك كان -رحمه الله- لا يترك أحداً يجلس إليه إلاّ نحو ثلاثة أنفس، فغفل يوماً فرأى الحلقة قد كبرت فقام فزعاً، وقال: "أُخِذنا والله ولم نشعر، والله لو أدرك أمير المؤمنين عمر ﷺ مثلي وهو جالس في هذا المجلس لأقامه، وقال له: مثلك لا يصلح لذلك"[3].

ويرى إبراهيم بن أدهم (ت ١٦١هـ) أنَّ مَن أحبّ الشهرة لم يصدق الله تعالى؛ قال -رحمه الله-: "ما صدق الله عبدٌ أحبّ الشهرة"[4].

ولأنَّهم كانوا صادقين مع الله كانوا يخافون من الشهرة ويتجنبونها، فهذا

---

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٢٧٦.

(٢) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٧ ص٢٣.

(٣) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٧ ص٢٦٠.

(٤) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٨ ص١٩-٢٠ و٣١.

إبراهيم النخعي الإمام الفقيه كان لا يجلس إلى السارية في المسجد توقياً للشهرة، وكان يقول: "تكلمت ولو وجدت بداً ما تكلمت، فإنَّ زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء"[1].

وكان محمد بن يوسف الأصبهاني عروس الزهاد -رحمه الله- لا يشتري زاده من خباز واحد، فعندما سئل عن ذلك قال: "لعلهم يعرفوني فيحابونني فأكون ممن أعيش بديني"[2].

وكان ابن محيريز -رحمه الله- يقول: "اللهم إنِّي أسألك ذكراً خاملاً"؛ استجابة لوصية فضالة بين عبيد له ﷺ[3].

ويقص علينا بشر الحافي -رحمه الله- خبرته في مَن أحبَّ الشهرةَ فيقول: "لا أَعرف رجلاً أَحب أن يُعرف إلاّ ذهب دينه وافتضح"[4].

ويقول -رحمه الله-: "لا يجد حلاوة الآخرة رجل يُحب أن يعرفه الناس"[5].

---

(١) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٤ ص٢٢٣.

(٢) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٨ ص٢٣١. وابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج٤ ص٨٢.

(٣) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٨ ص٣٤٣.

(٤) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٨ ص٣٤٣ و٣٥٥.

(٥) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٨ ص٣٤٣.

إنَّه الجزاء من جنس العمل، فعقوبة من أَحبَّ الشهرة وحرص عليها زوال دينه؛ لأنَّه لا يبالي من أي السبل حصَّلها، وإذا زال دينه فضحه الله تعالى.

وفي مقابل ذلك يبين الجنيد أثر الإخلاص في ذياع صيت المخلص فيقول -رحمه الله-: "من لزم طريق المعاملة على الإخلاص أراحه الله من الدعاوى الكاذبة"(١).

إنَّ المخلص لا حاجة له بالدعاوى الكاذبة؛ لأنَّ معاملته مع من يعلم السر وأخفى؛ كذلك فإنَّ عمله يفصح عنه، والله يضع محبته في قلوب خلقه لأنَّه يحبه، فهو ليس بحاجة إلى التملق للخلق.

ونرى أثر ذلك الإخلاص في الإمام الشافعي -رحمه الله- الذي كان يقول: "وددت أنَّ الناس تعلموا هذا العلم ولا ينسب إليّ شيء منه أبداً، فأوجر عليه ولا يحمدوني"(٢).

إنَّ الإمام الشافعي يريد أن لا يُنقَص من أجره شيء بسبب حمد الناس له؛ لذلك تمنى هذه الأمنية؛ إنَّه -رحمه الله- لم يكن يريد الدنيا وزينتها؛ بل كان يريد ما عند الله، وما عند الله خير وأبقى؛ لقد كان مخلصاً، وبسبب هذا الإخلاص العجيب

---

(١) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج١٠ ص٣٨٢.

(٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٠ ص٢٩ الرسالة.

نشر الله صيته وخلَّده إلى يوم القيامة، وضم إلى أجره أجور من اتبعه إلى يوم القيامة، وبسبب هذا الإخلاص وضع الله محبته في قلوب الألوف المؤلفة من الخلق.

ويُوافق ذو النون المصري (ت ٢٤٥هـ) العلماءَ ممن سبقوه على أنَّ المخلص لا يمكن أن يكون في قلبه محبة الظهور والشهرة؛ بل يحرص على الخفاء حتى لو استطاع الدخول إلى بئر ليعبد الله فيه لفعل، فعن سعيد بن عثمان قال: "سمعت ذا النون المصري يقول: قال بعض العلماء: ما أخلص العبد لله إلاّ أحب أن يكون في جب لا يُعرف"[1].

ويردد ابن عطاء السكندري -رحمه الله- في حكمه رجع صدى وصايا النبي ﷺ وصحابته ﷺ والتابعين، فيقول: "ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لم يتم نتاجه"[2].

ويشرح ابن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ) -أحد شراح الحكم- هذه الحكمة بقوله: "استر نفسك أيها المؤمن وادفنها في أرض الخمول حتى تستأنس به وتستحليه ويكون عندها أحلى من العسل، ويصير الظهور عندها أمرّ من الحنظل، فإذا دفنتها في أرض الخمول وامتدت عروقها فيه فحينئذٍ تجنى ثمرتها ويتم ذلك نتاجها، وهو

---

(١) البيهقي، **شعب الإيمان**، ج٥ ص٣٥٣.

(٢) ابن عباد، **غيث المواهب العلية**، ص٢٠.

سرّ الإخلاص والتحقق بمقام خواص الخواص.

وأما إذا لم تدفنها في أرض الخمول، وتركتها على ظهر الشهرة تجول ماتت شجرتها أو أسقطت ثمرتها، فإذا جنى العارفون ما غرسوه من جنات معارفهم من العلوم وما دفنوه من كنوز الحكم ومخازن الفهوم بقيت أنت فقيراً سائلاً أو سارقاً صائلاً"[1] .

ولا يقصد ابن عطاء -رحمه الله- بالخمول الكسل والبلادة؛ بل يقصد المراد اللغوي من ذلك، وهو البعد عن الأضواء وعن أسباب الشهرة، وأن يكون الإنسان مجهولاً لدى الآخرين لا يعرفه أكثر الناس[2].

ومن مظاهر طلب الشهرة أن يغري الشيطان بعض الناس بطلب العلم والتوسع فيه، وقصده أن يكون مفتياً يقصد للفتوى أو عالماً يذكر اسمه أو مصنفاً تتداول كتبه أو داعية يجتمع الناس إليه، فإذا حَصَّل المرء هذا العلم الذي طلبه، وأصاب الشهرة التي أرادها فإنَّه قد يسأل عن مسألة فلا يعرفها ولا يدركها، فيخشى إن قال: "الله أعلم أو لا أدري" سقوط مكانته أو هيبته بين الناس، وأن يظنوا به الظنون، ويعرضوا عنه، فيقول العوام كيف لا تعلم وأنت بهذه المنزلة؟ فلا

---

(١) ابن عجيبة، **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، ص٢٦ بتصرف وجيز.

(٢) انظر: البوطي، **الحكم العطائية شرح وتحليل**، ج١ ص١٥٦.

يزال الشيطان والجهال يغرونه حتى يفتي بالجهل فيقتحم النار ضالاً مضلاً.

ولهذا لما صعد بعض أهل العلم المنبر وسُئل فقال: لا أدري، فقال له أحدهم: هذا ليس مقام لا أدري، هذا مقام العلماء! فأجابه ذلك العالم بقوله: إنَّما علوت بقدر علمي ولو علوت بقدر جهلي لبلغت عنان السماء[1].

ويجدر بنا أن ننبه على أنَّ النهي لم يرد عن الشهرة بذاتها؛ بل ورد عن طلبها واتخاذ أسباب غير شرعية لذلك، فإن من أشهر الناس الأنبياء والخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين، فالمنهي عن طلب الشهرة لا الشهرة ذاتها، فإذا اشتهر الإنسان فلا إثم عليه[2].

وكذلك لا يفهم مما أوردناه من آثار وأقوال أننا ندعو إلى الانطوائية والعزلة السلبية؛ لأنَّ من رويت عنهم تلك الآثار والأقوال أئمة ودعاة مصلحون كان لهم آثار طيبة في دعوة المجتمع وتوجيهه وإصلاحه؛ لكن ما يجب فهمه منها اليقظة لشهوات النفس الخفية، والحذر من منافذ الشيطان إلى القلب إذا سلطت على المرء الأضواء وأحاط به الأتباع وأشير إليه بالبنان، يقول ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) -رحمه الله-: "المذموم طلب الإنسان للشهرة، وأما وجودها من جهة الله تعالى من

---

(١) العودة، **عشرون طريقة في الرياء**، ص٤٣-٤٤ باختصار وتصرف.

(٢) انظر: الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٢٧٨.

غير طلب الإنسان فليس بمذموم، غير أن في وجودها فتنة على الضعفاء، فإنَّ مَثَل الضعيف كالغريق القليل الصنعة في السباحة، إذا تعلق به أحد غرق وغرقه، فأما السابح النحرير، فإنَّ تعلق الغرقى به سبب لنجاتهم وخلاصهم"[1].

ومن خطورة الشهرة أنَّ البعض إذا اشتُهر بين الناس وأصبح ذا وجاهة ومنزلة يصبح همه المحافظة عليها، فيجاري الناس ويباريهم في أشياء يفعلها أو يظهرها لهم لا تديناً ولكن ليحافظ على مقامه عندهم، وربما تكلم ووعظ لا لأنَّه وجد ما يدعو إلى وعظ؛ لكن لشعوره بأنَّه ينتظر منه كلام ووعظ وأنَّه لا يحسن به الخروج من غير كلام ينصت له الناس، فلم يكن مقصوده ذلك المعنى الذي تكلم عنه؛ بل مقصوده أن يحافظ على وجاهته ومنزلته عندهم، وهذا مدخل غامض خفي[2]، فليحذر منه كل عامل.

رابعاً ـ ألا يطلب المدح لنفسه ولا يبخل به عن غيره

من علامات المخلص أنَّه لا يأبه لمدح الناس له أو ذمهم طالما أنَّه على الحق، ولا يعمل العمل من أجل مدحهم ولا يتركه لأجل مذمتهم؛ سئل ذو النون المصري -رحمه الله- فيمَ يجد العبد الخلاص؟ فقال: الخلاص في الإخلاص، فإذا أخلص

---

(١) المقدسي، **مختصر منهاج القاصدين**، ص٢١٠.

(٢) انظر: العودة، **عشرون طريقة للرياء**، ص٣٩-٤٠.

تخلص. قيل: فما علامة الإخلاص؟ قال: إذا لم يكن في عملك محبة حمد المخلوقين ولا مخافة ذمهم فأنت مخلص -إن شاء الله-[1].

وبهذه الكلمات كان الشيخ يحصر مفهوم الإخلاص بترك محبة الحمد ومخافة الذم من المخلوقين عند العمل.

ويقول ابن القيم -رحمه الله- في الفوائد: "لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلاّ كما يجتمع الماء والنار والضب[2] والحوت"[3].

لذلك كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا مُدح قال: "اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون"[4].

ويبين ابن عطاء السكندري أنَّ الفضل في مدح أي مادح لك هو الله؛ لأنَّه هو الذي ستر عيوبك عن الخلق، فقال -رحمه الله-: "من أكرمك إنَّما أكرم فيك جميل ستره، فالحمد لمن سترك، ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك"[5].

---

(١) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج١٠ ص٢٤٣.

(٢) الضب: حيوان زاحف يعيش في الصحراء.

(٣) ابن القيم، **الفوائد**، ص٢١٨.

(٤) البخاري، **التاريخ الكبير**، ج٢ ص٥٨.

(٥) ابن عباد، **غيث المواهب العلية**، ص١٧٩.

وليس مدح الناس للعبد حرام؛ بل المنهي عنه العمل من أجل محمدة الناس وخوف مذمتهم. وقد يعمل الإنسان العمل ولا يبتغي به أحداً غير الله تعالى، فيطلع عليه الناس فيمدحوه، فهذا ليس مقصودنا؛ بل حديثنا ينصب على من كان هدفه وغايته من العمل طلب مدح الناس له وحمدهم له. وهذا المعنى سُئل عنه النبيُ ﷺ، ففي الحديث عن أبي ذر ﷺ أنَّ رجلاً سأل النبيَ ﷺ عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه، فقال ﷺ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**»(١).

ويشرح لنا الإمام النووي -رحمه الله- هذه الجملة من كلام النبي ﷺ فيقول: "قال العلماء: معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير، وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه، ومحبته له فيحببه إلى الخلق..؛ هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم"(٢).

وقد يفرح المؤمن بهذا المدح العارض غير المقصود، وهذا أمر غريزي طبيعي مقبول إذا بقي في الحدود الصحيحة؛ بحيث لا يقذف في قلب صاحبه العجب، ولا يورث لذة تكون الدافع لغيره من العمل، وفي ذلك يقول الحارث المحاسبي -رحمه الله-: "إنَّه لا يجب على الناس أن يكرهوا الثناء الحسن والمحمدة، ولا يجب عليهم أن

---

(١) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٦٤٢). وابن ماجه، **السنن**، رقم (٤٢٢٥).

(٢) النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج١٦ ص١٨٩ باختصار وجيز.

يحبوا المذمة، عملوا الحسنات أو لم يعملوا، إذا لم يكن ذلك منهم من معنى فاسد؛ لأنَّ المرائي وإن كان يريد العمل على أن يحب المدح ويكره المذمة، فإن الصادق لا يجب عليه أن يكره الثناء ويحب المذمة، وإن أكثر الصادقين قد مدحوا وأثني عليهم، ولم يضرهم ذلك شيئاً.

وإنَّما الفرق بينهما -أي المرائي والصادق في هذا الباب- أنَّ المرائي إرادته وأمله في عمله جاه الدنيا والمنزلة عند أهلها، فأفسد عمله بنيته وإرادته ونال الذي أراد من ذلك أو لم ينله، حمدوه على عمله أو لم يحمدوه، ذموه أو لم يذموه.

وغير المرائي إنَّما كره المذمة لحال ما؛ فيها من الكراهية مثل السقوط في أعين الناس والبغضة والمقت من المؤمنين وأشباه ذلك، والثناء الحسن والقول الجميل أحبه لموضع ستر الله، ولما جاء من الرجاء في الثناء الحسن والقول الجميل والمحبة من الناس ومودتهم -أي رجاء محبة الله تعالى وغير ذلك من الأجور المترتبة على ذلك-.

وكان اعتقاد نيته وعزمه من أول أمره وآخره ألا يريد بذلك إلاّ وجه الله وحده والدار الآخرة حمدوه أو ذموه، أحبوه أو أبغضوه"[1].

ولابن عطاء -رحمه الله- حكمة في هذا يقول فيها: "إذا أطلق الثناء عليك

---

(١) المحاسبي، **آداب النفوس**، ص٧٠.

ولستَ بأهل فأثنِ عليه بما هو أهله"[1].

ويشرح ذلك ابن عباد -رحمه الله- بقوله: "المؤمن هو الذي لا يرى نفسه أهلاً لِأَنْ يمدح أو يثنى عليه؛ لأنَّ موجبات ذلك ليس له منها شيء...، فإذا أطلق الله ﷻ ألسنة الناس في الثناء عليه، ولا أهلية فيه لذلك، فينبغي أن يعرف الحق لأهله فيستعمل نفسه بالثناء على الله تعالى بما هو أهله، ليكون ذلك شكراً لنعمة إطلاق الألسنة بالثناء عليه من غير استحقاق لذلك ولا لثبوت أهليته"[2].

وإذا كان من علامات أهل الإخلاص أن لا يطلب المرء المدح من الناس وأن لا يحرص عليه، فهذا لا يعني أن يضن بالمدح والثناء على كل صاحب خير وعلى من يستحقه من عباد الله طالما أنَّه لم يتجاوز الحدود الشرعية في المدح؛ كما بينها العلماء، فالرسول ﷺ ما كان يبخل بالثناء على أحد وأمرنا بشكر كل صاحب معروف؛ حيث جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا يَشْكُرُ اللهَّ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ**»[3]؛ لذلك أثنى النبي ﷺ على جمع من صحابته الكرام عليه الرضوان، ومن أمثلة ذلك أنه ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ**

---

(١) ابن عباد، **غيث المواهب**، ص١٨٧.

(٢) ابن عباد، **غيث المواهب**، ص١٨٧.

(٣) أخرجه الترمذي، **السنن**، رقم (١٩٥٤). وقال حديث حسن صحيح. وأبو داود، **السنن**، رقم (٤٨١١).

وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي»[1].

وقوله ﷺ لعمر ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**»[2].

وقوله ﷺ عن عثمان ﷺ: «**إنه رَجُلٌ تَسْتَحْيِي منه الْمَلَائِكَةُ**»[3].

وقال ﷺ لعلي ﷺ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**»[4].

وقال ﷺ عن أبي عبيدة ﷺ: «**هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»[5].

وقال ﷺ عن خالد ﷺ: «**سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ**»[6].

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٣٦٥٦). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٣٨٣) عن ابن عباس وابن مسعود ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٣٢٩٤). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٣٩٦)، وابن أبي شيبة، **المصنف**، رقم (٣١٩٩٩) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٤٠١) عن عائشة.

(٤) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٣٧٠٦). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٤٠٤) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٤٣٨٠). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٤١٩) عن حذيفة بن اليمان وأنس ﷺ.

(٦) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٣٧٥٧) عن أنس ﷺ.

وكثيرون نوّه بهم ﷺ، وأبرز ما لهم من مواهب وملكات، وبعضهم كانوا شباباً، مثل أسامة بن زيد الذي ولاه قيادة جيش فيه بعض كبار الصحابة، وعتاب بن أسيد ﷺ الذي استخلفه على مكة وهو ابن عشرين، ومعاذ بن جبل ﷺ الذي أرسله إلى اليمن وهو شاب"[1].

وما جاء من نهي عن النبي ﷺ عن مدح الآخرين؛ كما في قوله ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ**»[2]، فهذا إذا خرج المدح عن ضوابطه الشرعية، أما إذا كان ضمن الضوابط الشرعية فلا بأس في ذلك، وهذه الضوابط هي: الصدق، وعدم المبالغة، وأمن الفتنة من العجب على الممدوح[3].

وإذا تلَبس هذا المدح المنضبط بمصلحة كالتشجيع وغيره فإنه يكون مطلوباً شرعاً، كالمعلم الذي يثني على تلاميذه ليحفزهم على الاجتهاد.

والمؤمن قد يكره مذمة الناس له؛ لكن خشية أن يكون ذلك دليلاً على ذم الله ﷻ له لقول النبي ﷺ: «**أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»[4] هذا إذا لم يظلموا في ذمهم ولم يكذبوا.

---

(١) القرضاوي، **النية والإخلاص**، ص٧٦.

(٢) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٣٠٠٢).

(٣) انظر: النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج١٨ ص١٢٦. وابن حجر، **فتح الباري**، ج١٠ ص٤٧٨. وشمس الحق العظيم أبادي، **عون المعبود**، ج١٣ ص١٦١-١٦٢.

(٤) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (١٣٦٧). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٩٤٩). عن

كذلك قد يكره المؤمن ذم الناس كراهة أن يغيروا قلبه فيشغلوه عن الله ﷻ أو يجيء منه إليهم ما لا يحل فيعصي الله ﷻ فيهم بقلبه أو جوارحهم.

ومما هو مباح في هذا الباب أن يكره أن يغتم بما يسمع أو يشق عليه؛ لأنَّه مخالف للطبع، وإن ذموه فاغتم لما هاج من الطبع فلا بأس به ما لم يكن يكره الذم ويغتم له جزعاً أو يزول عنه الحمد بالطاعة ومحبة أن يثنوا عليه بالورع، ويبروه على الورع ويأكل بدينه، ولا يجب أن يقولوا عليه غير ذلك فيزول عنه الثناء بعمله والبر على طاعته فإذا كان ذلك فقد نقص في دينه"[1].

إنَّه لا يطلب من الإنسان أن يكون ملاكاً أو أن يكون كائناً آخر لا إحساس له ولا مشاعر؛ لكنَّ المراد من الإنسان أن يهذب مشاعره وأحاسيسه بما يوافق الشرع والدين.

خامساً- الفرح بكل كفاءة وتشجيع كل فاعل خير

المخلص يفرح بكل صاحب كفاءة يسهم في بنيان الخير والعمل الصالح، ويشجع كل فاعل خير مهما كان حجم الخير الذي يفعله؛ بل هو دائماً يسعى لإنتاج الكفاءات ويحث الناس على الخير وفعله. ولقد كان هذا ديدن رسول الله ﷺ، فكان

أنس ﷺ.

(١) المحاسبي، **الرعاية لحقوق الله**، ص٢٨٤ و٢٨٥ بتصرف وجيز.

يشجع الصحابة على الخير ويدعوهم للثبات عليه سواءً قولاً أو فعلاً. ومما يورد في هذا الباب: أن امرأة سوداء أو رجلاً أسود كان أو كانت تقمّ المسجد أي تكنسه، ففقدها النبي ﷺ، فسأل عنها، فقالوا: ماتت. فقال ﷺ: «**أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ أَوْ قَالَ قَبْرِهَا فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا**»[1].

فانظر كيف شكر النبي ﷺ لهذا الرجل أو هذه المرأة ذلك الصنيع المتواضع في نظر الناس، فقام ﷺ بالصلاة عليه أو عليها في القبر كي ينور الله على ساكنه.

ومرَّ بنا أنَّ النبي ﷺ ما كان يبخل على صحابته بالمدح تشجيعاً لهم، ومن يراجع سيرة النبي ﷺ يجد فيها كيف كان حرصه ﷺ على إنشاء جيل يحمل الأمانة من بعده فأثمر جهده خير جيل وخير قرن صلوات ربي عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وحُب الزعامة والإعجاب بالذات يدفع البعض لتنقص الناس وازدرائهم ومحاولة كبتهم حتى لا يبرزوا فيحلوا مكانهم أو ينازعوهم فيما هم فيه، وليس هذا بخلق المخلصين، وانظر معي إلى هذه المقولة للإمام الشافعي -رحمه الله- حيث يقول: "وما كلمت أحداً إلاّ وددت أن يُسدَّد ويُعان، ويكون عليه رعاية من الله وقوة"[2].

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٤٥٨)، ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٩٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج٢ ص٢٥١.

فما كان يود -رحمه الله- إذا كلم أحداً وناقشه في أمر إلاّ وأن يسدده الله تعالى ويعينه ويرعاه ويحفظه فيظهر الحق على لسانه؛ لأنَّ هذا أسهل في قبول الحق عند الخصم، ولأنَّ هدف الإمام -رحمه الله- كان ظهور الحق سواء على لسانه أو لسان غيره.

هذا ديدن المخلصين يشجعون كل كفاية، ويفرحون بكل فاعل خير؛ أما المنافقون فهم على النقيض من ذلك كما ذكر القرآن عنهم؛ روى الشيخان في صحيحيهما عن أبي مسعود البدري ﷺ أنَّه قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل (على ظهورنا)، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا (أي المنافقون): مرائي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة التوبة:٧٩][1].

إنَّه الازدراء والنقد الدائم مع القعود والنكوص وعدم تقديم شيء للأمة؛ إنَّ هؤلاء المنافقين ما كان يعجبهم من أنفق الكثير ولا مَن أنفق القليل لا لأنَّ عمله كان غير صحيح أو غير مجدٍ أو يخدم الأعداء أو... أو...، ولكن لمزوا هؤلاء العاملين

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (١٣٤٩). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (١٠١٨). ومعنى نحامل على ظهورنا أي نعمل في الحمل على ظهورنا للناس لنتصدق بالأجرة.

وكرهوا صنيعهم؛ لأنَّهم منافقون لا لشيء آخر، ولأنَّ قلوبهم خربة قد عشعشت فيها سخائم الآثام وظلمات الرياء.

سادساً ـ الاستمرارية في العمل مهما تقلبت الأحوال وتغيرت الظروف

تمر بالإنسان أحوال عدة وظروف كثيرة ينقلب فيها بين فرح وبلاء وبين سعة وضيق، ومن علامات أهل الإخلاص الاستمرار في العمل الصالح والصبر عليه، فالمخلص هو هو إذا كان زعيماً أو كان جندياً؛ كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ**»[1].

ولنا في قصة خالد بن الوليد وأبي عبيدة -رضي الله عنهما- في فتوح الشام أكبر مثال على إخلاص القيادة؛ حيثُ عَزَل الخليفة عُمر ﷺ خالداً ﷺ وعيّن مكانه أبا عبيدة فتنازل خالد لأبي عبيدة راضياً مطيعاً.

ولنا في جيش أسامة الذي عقد لواءه الرسول ﷺ قبل وفاته لشاب صغير، وفي الجيش عمر وأمثاله من الصحابة الكبار، فلم ترِ لنا كتب التاريخ أيَّ تذمر من أحدهم فضلاً عن المكائد والمؤامرات.

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٢٧٢٩). والطبراني، **المعجم الأوسط**، ج٣ ص٩٤.

إنَّ الواحد فيهم لا يتغير عليه شيء سواء كان جندياً أو قائداً؛ لأنَّه لا يعمل ليرى مكانه؛ بل يعمل لله وحده.

والمخلص هو هو في السراء والضراء؛ كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**عَجَباً لأمْرِ المُؤمنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خيرٌ ولَيسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إلاَّ للمُؤْمِن: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيراً لَهُ، وإنْ أَصَابَتْهُ ضرَاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ**»(١).

كذلك المخلص يعلم أنَّ طريقه إلى الله طويل فهو صابر ثابت لا يترنح مع الريح ولا تقصمه العواصف العواتي.

فبعض الناس في سيرهم إلى الله ﷻ لا يكون هدفهم إرضاءه وحده؛ بل يكون الهدف حظ من الدنيا أو منصب أو رياسة، فعندما يجدون صعوبة الطريق وطولها يستعجل أحدهم بغيته من أجل تحقيق مناه فنجده يسلك لذلك مسالك غير شرعية أو غير عقلانية توصل الأمّة أو توصله هو ومن حوله إلى درجة أوضع مما كانت عليه قبل فعلته وتسرعه، ولذلك شواهد كثيرة أعرضنا عنها خروجاً من دائرة الجدال.

كذلك المخلص هو هو سواء كان في جمع أو كان وحده؛ لا يتغير عليه الحال إلاّ كما يتغير عليه الشتاء والصيف.

لقد مرَّ بنا حديث ثوبان ﷺ مولى رسول الله ﷺ في مّنْ يأتي يوم القيامة بأعمال

---

(١)أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم٢٩٩٩.

كجبال تهامة، ثم يقال لها كوني هباءً منثوراً، وذلك لأنَّهم كانوا إذا وُجدوا بين الناس أظهروا الطاعة وإذا اختفوا عن أعين الناس انتهكوا حرمات الله تعالى.

والمخلص هو أمام أذية الآخرين صابر محتسب، فهو يصبر على الخلق؛ لأنَّه يعلم أنَّ له أجراً بهذا الصبر عند الله، وفي ذلك يقول يحيى بن معاذ (ت ٢٥٨هـ) -رحمه الله-: "من علامات الإخلاص الصبر على الخلق"[1].

ولا يعني الصبر على الخلق أن يرضا المرء الدنيّة في دينه، ولا يعني أيضاً الجمود في مكان لا نتاج فيه، ولا يعني الصبر على الأذى أن يهين المرء نفسه في مقابل لا شيء يذكر.

إنَّ الصبر منهج كامل من سار عليه وصل إلى نتائج عظيمة في الدنيا والآخرة؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر: ١٠].

هذا هو الصبر الذي يتحلى به المخلصون لا التماوت والجبن وضعف الهمّة ووهن الإرادة والجهل المركب.

سابعاً- السعي لإرضاء الله لا لإرضاء الناس ولا لإرضاء النفس

يلاحظ في عمل المخلص أنَّه مهتم بإرضاء الله لا إرضاء الناس ولا إرضاء نفسه، فهو يسير مع مراد الله تعالى سواء وافقه الناس عليه أم خالفوه وسواء قنعت

---

(١) ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج١ ص١٣٨.

به نفسه أم لا، فالنفس تعصف بها الأهواء فإن توبعت عليها ضل الإنسان وزاغ، والناس يختلفون أشد الاختلاف في أذواقهم ومواقفهم وتفكيرهم وميولهم وأهدافهم وطرائقهم، ومحاولة إرضائهم غاية لا تدرك ومطلب لا يُنال، وفي هذا قول الشاعر:

ومن في الناس يُرضي كل نفس وبين هوى النفوس مدى بعيد

إنَّ المخلص يؤمن بحديث النبي ﷺ الذي ترويه عنه السيدة عائشة –رضي الله عنها– أَنَّه ﷺ قال: «**مَن أرضَى اللهَ بسخطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ، ومَن أَسخَطَ اللهَ برضَا الناسِ وكله اللهُ إلى النَّاس**»[1].

ولذلك فالمخلص منضبط بهذا الهدف (إرضاء الله) سواءً في معاملته للناس أو مع نفسه، حتى لو أساء إليه الناس، فإنَّه لا يكون سريع الغضب؛ بل إنْ غَضِب لا يغضب إلاّ لله، ولا يرضيه إلاّ ما كان موافقاً لمنهج الله تعالى؛ يقول ابن عطاء –رحمه الله– في حكمه: "غِبْ عن نظر الخلق إليك بنظر الله إليك، وغِب عن شهود إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك"[2].

---

(١) أخرجه ابن حبان، **الإحسان**، رقم (٢٧٧). وصححه الألباني في: **السلسلة الصحيحة**، رقم (٢٣١١).

(٢) ابن عباد، **غيث المواهب العلية**، ص٢٠٤.

ويصف لنا ابن عباد -رحمه الله- حال الساعي لإرضاء الناس بقوله: "وهذا عذاب أليم استعجله في دنياه؛ إذ يفوته بذلك راحة قلبه وطيب عيشه، ويسلبه أثواب الغنى والعزة، ويلبسه لباس الطمع والذلة، فتتردى بذلك همته، وتقل قيمته ولعذاب الآخرة أكبر؛ قال الشاعر:

من راقب الناس مات هماً وفاز باللذة الجسورُ"[1]

وكتب عمر ﷺ إلى أبي موسى ﷺ فقال: "مَن خلصُت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس، ومن تزيّن للناس بغير ما يعلم الله في قلبه شانه الله ﷻ، فما ظنك في ثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام"[2].

وبهذا المعنى تُرسل السيدة عائشة -رضي الله عنها- إلى معاوية ﷺ توصيه فتقول: "أما بعد.. فاتق الله، فإنَّك إذا اتقيت الله كفاك الناس، وإذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاً"[3].

ولا يعني هذا أن يكون المرء غليظاً في التعامل مع الناس؛ بل لا بد من معاملتهم بدماثة وخلق حسن، فحسن الخلق من أعظم القربات إلى الله تعالى؛ لكن

---

(١) ابن عباد، **غيث المواهب العلية**، ص٢٠٤.

(٢) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج١ ص٥٠.

(٣) ابن المبارك، **الزهد**، ص٦٣.

لا بد من إخلاص النية بالتخلق بالخلق الحسن.

ثامناً- الحرص على العمل النافع، وتقديم ما هو أنفع لدينه

من علامات أهل الإخلاص الحرص على العمل النافع، وتقديم ما هو أنفع لهم في دينهم، فلا نجد أحدهم يضيع وقته في مجالس اللغو علاوة على مجالس الحرام؛ لأَنَّه دائم المراقبة لله تعالى في كل أحواله.

والمخلص صاحب فهم عن الله تعالى يحاول دوماً أن يفعل ما هو أرضى لله وما هو أنفع للناس، ومن كان هذا شأنه فهو من أحب الناس إلى الله تعالى؛ كما جاء في الحديث عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «**أحبُّ النَّاس إلى الله أنفعهم للناس**»[1].

ومن ذلك أن يقدم المرء العمل الذي فيه النفع للآخرين ويخالف لذة في نفسه على عمل نفعه مقصور عليه وله فيه لذة أو يوافق هوى في نفسه؛ يقول د. القرضاوي -حفظه الله-: "من دلائل الإخلاص الحرص على العمل الأرضَى لله، لا الأرضَى للنفس فيؤثر المخلص العمل الأكثر نفعاً، والأعمق أثراً وإن لم يكن له فيه هوى، ولا له فيه لذة ونشوة. فقد يتلذذ بصيام النافلة أو بصلاة الضحى، ولو شغل

---

(١) أخرجه الطبراني، **المعجم الكبير**، رقم (١٣٦٤٦). وفي **المعجم الأوسط**، رقم (٦٠٢٦). **والمعجم الصغير**، رقم (٨٦١). وحسنه الألباني في: **صحيح وضعيف الترغيب والترهيب**، رقم (٢٦٢٣).

هذا الوقت بإصلاح ذات البين لكان أولى"[1].

ولصاحب الحكم ابن عطاء -رحمه الله- حكمة يجعل فيها من علامات اتباع الهوى ترك العمل بما هو أولى إلى ما هو أشهى للنفس؛ حيث يقول: "من علامات اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات، والتكاسل عن القيام بالواجبات"[2].

وفي هذا الباب يقول ابن الجوزي -رحمه الله-: "ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما يعجز عنه البدن من العمل؛ كما جاء في الحديث: «**نية المؤمن خير من عمله**»[3].

وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات، فنقل عن عامر بن عبد قيس أنَّ رجلاً قال له: كلمني، فقال له: أمسك الشمس... فإذا علم الإنسان، وإن بالغ في الجد بأنَّ الموت يقطعه عن العمل عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته"[4].

والعامل في حقل الدعوة والعمل يجد تفريطاً واسعاً في هذا الباب؛ ومن أمثلة ذلك ما يفعله بعض المسلمين من الاهتمام بثقافته السياسية والاجتماعية على حساب

---

(١) القرضاوي، **النية والإخلاص**، ص٨١.

(٢) ابن عباد، **غيث المواهب العلية**، ص٢٤٣.

(٣) أخرجه الطبراني، **المعجم الكبير**، رقم (٥٩٤٢)، وهو حديث ضعيف.

(٤) ابن الجوزي، **صيد الخاطر**، ص٢٥ باختصار.

ثقافته الشرعية وإصلاح أحواله القلبية، أو العكس ويغفل عن الموازنة بين الأمرين. أو أنه يعكف الساعات في المجالس ليصلح الناس وينسى أن يجلس مع أهل بيته ساعة ليصلحهم. وكحال من يتبرع في بلاد الغرب لبناء مقبرة تكفي المسلمين في تلك الديار لأجيال، ولا يتبرع بفلس من أجل بناء مدرسة يحفظ بها دين أبناء المسلمين من الاندثار.

تاسعاً- الاستقامة على الدين

من علامات أهل الإخلاص الاستقامة على أوامر الله ورسوله ﷺ، واجتناب ما نهى الله عنه؛ يقول حاتم الأصم (ت٢٣٧ هـ)-رحمه الله تعالى-: "يُعرف الإخلاص بالاستقامة"[1].

نعم إنَّ استقامة العبد دليل على إخلاصه؛ لأنَّ إخلاص العبد لربه نابع من معرفته بالله تعالى، ومن عرف الله راقبه في كل شأن من شؤونه، ومن راقب الله تعالى استقام على أمره ونهيه.

فعلامة المخلص هي الاستقامة على الصراط المستقيم، فكاذب من ادّعى الإخلاص وهو معوجّ في سيره عن الطريق الموصلة لرب العالمين؛ يقول ابن رجب -رحمه الله-: "أصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد"[2].

---

(١) ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج١ ص٨٨.

(٢) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص١٩٣.

وهذا الفهم جاء مما ورد عن صحابة النبي ﷺ، فهذا أبو بكر الصديق يُسأل عن الاستقامة فيجيب ﷺ بقوله: (ألاّ تشرك بالله شيئاً)[1]؛ وجاء عن عمر ﷺ: (الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب)[2]؛ وقال عثمان ﷺ: (استقاموا: أخلصوا العمل لله)[3].

وقد روى أنس بن مالك ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْد حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[4]؛ فهذا الحديث يحدد أنْ لا استقامة لعبد على الإيمان حتى يستقيم قلبه، وأعظم أعمال القلوب التوحيد والإخلاص له تعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة يوسف:٢٤] دلالة على أنَّ المخلص تصرف عنه المعاصي والسيئات، ويبعد عما حرمه الله تعالى؛ وهذه هي الاستقامة التامة.

يقول شيخ الإسلام في كلام له حول على الآية السابقة من سورة يوسف: "فمن كان مخلصاً لله حق الإخلاص لم يزنِ، وإنَّما يزني لخلوه عن ذلك"[5].

---

(١) ابن القيم، **مدارج السالكين**، ج٢ ص١٠٨.

(٢) القرطبي، **الجامع لحكام القرآن**، ج١٥ ص٣٥٨.

(٣) ابن القيم، **مدارج السالكين**، ج٢ ص١٠٩.

(٤) أخرجه أحمد، **المسند**، ج٣ ص١٩٨ بإسناد حسن.

(٥) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج٧ ص٣٠٦.

المبحث الرابع
مكدرات الإخلاص والنية والصادقة

قد يدخل على الإخلاص والنية الصادقة ما يعطلهما أو يشوبهما ويكدرهما، وقد ذكر العلماء مكدرات وشوائب عديدة؛ لكن يمكن إرجاعها إلى مكدرٍ واحد هو الرياء؛ إذ إنَّ غيره من الشوائب والمكدرات إما متولّد عنه أو هو شكل من أشكاله؛ من أجل ذلك كان لا بدَّ من الحديث عن الرياء بشكل مطول لتوضيح ما قلناه من علاقته بغيره من الشوائب التي تشوب العمل وتكدر النية.

أولاً- معنى الرياء

أ- الرياء في اللغة:

الرياء: مصدر قولهم: راءاه رياءً ومراءاة، وهو مأخوذ من مادة (ر، أ، ى)، والتي يقول فيها ابن فارس -رحمه الله-: "الراء والهمزة والياء أصلٌ يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة، فالرأي: ما يراه الإنسان في الأمر، وجمعه الأمراء...، والرئيُ: ما رأت العين من حال حسنة... يقال من ذلك: وراءى فلان، وفعل ذلك رئاء الناس ورياء الناس، وهو أن يفعل شيئاً ليراه الناس"[1].

إذاً أصلُ الكلمة من الرؤية، والرؤية إما أن تكون بصرية أو قلبية، وسمي

---

(١) انظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٢ ص٤٧٢-٤٧٣.

المرائي مرائياً وسمي فعله رياء؛ لأنَّه عمل العمل لأجل أن يراه النـاس فيستحـسنوا عمله فيقع تقديره في قلوبهم، فهو يبتغي الرؤية البصرية ليحصل المكانة القلبية.

بـ الرياء في الاصطلاح:

عرّف العلماء الرياء بتعريفات عدة منها:

قال الجُرجاني: "إنَّه ترك الإخلاص في العمل بمراعاة غير الله تعالى"(١).

وعرّفه الإمام الغزالي في الإحياء بقوله: "الرياء أصله طلـب المنزلـة في قلـوب الناس بإيرائهم خصال الخير...، واسم الريـاء مخـصوص -بحكـم العـادة- بطلـب المنزلة في القلوب بالعبادة وإظهارها، فحد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله"(٢).

وعرّفه ابن حجر الهيتمي في الزواجر بقوله: "حد الرياء المـذموم إرادة العامـل بعبادته غير وجه الله تعالى؛ كأن يقصد اطلاع الناس على عبادته وكماله؛ حتى يحـصل له منهم نحو مال أو جاه أو ثناء"(٣).

وعرّفه المُناوي في التوقيف على مهمات التعاريف بقوله: "الرياء الفعل المقصود به رؤية الخلق غفلة عن الخالق وعماية عنه"(٤).

---

(١) الجرجاني، **التعريفات**، ص١١٩.

(٢) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٢٧٩ بتصرف.

(٣) الهيتمي، **الزواجر**، ج١ ص٧٥. وانظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج١١ ص٣٤٤.

(٤) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص٣٨٠.

فالرياء إذاً هو القيام بالعمل الذي يتقرب به العبد إلى الله لا لأجله ﷻ؛ بل من أجل أن يرى الناس مَن عمله متلبساً بذلك العمل، ليحظى عندهم بمنزلة أو يُحصِّل منفعة دنيوية.

والعلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي واضحة، وقد استخدمت صيغة فِعال (رياء) من (رأى) للمبالغة والتكثير[1].

ومثل الرياء السُمعة، وهي: طلب الذكر الحسن بين الناس والمنزلة عن طريق التحدث وإسماعهم ما قام به هذا المسمع من أعمال ظاهرها الصلاح[2].

فالفرق بينهما أنَّ الرياء هو العمل لرؤية الناس والسمعة العمل لأجل سماعهم، فالرياء يتعلق بحاسة البصر، والسمعة تتعلق بحاسة السمع، ويدخل فيه أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس[3]، ويطلق عليها كثير من أهل العلم رياءً أيضاً، وعليه فالرياء مصطلح يفهم منه طلب غرض من أغراض الدنيا بالعبادة وبقربة من القرب التي يتوجه بها إلى الله تعالى[4].

ثانياً- خطورة الرياء

تكمن خطورة الرياء في كونه شكلاً من أشكال الشرك، وشكلاً من أشكال النفاق، وقد مضى الحديث عن كونه نوعاً من أنواع الشرك، وأنَّ الرسول ﷺ سمَّاه

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣ ص٤٨.

(٢) انظر: الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، ج٢ ص١٩٢.

(٣) انظر: ابن عبد الوهاب، **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، ص٤٦٤.

(٤) انظر: ابن حميد، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم** ﷺ، ص٤٥٥٢.

الشرك الأصغر، وبيّنّا أنَّ خطورة الشرك أنَّه لا يغفر إلاّ بالتوبة الصادقة قبل الممات.

أما كونه شكلاً من أشكال النفاق، فالنفاق كما الشرك يقسم إلى نفاق أكبر ونفاق أصغر، والنفاق الأكبر هو النفاق الاعتقادي؛ أما النفاق الأصغر فهو نفاق عملي، وهو لا يخرج من فاعله من الملّة على عكس النفاق الاعتقادي.

وإذا كان النفاق الاعتقادي هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، فالنفاق الأصغر أو العملي هو أن يفعل المرء أفعالاً أو يقول أقوالاً يريد خلافها من أجل التقرب إلى سلطان أو من أجل المكانة بين الناس وما شابه.

والرياء على ذلك شكل من أشكال النفاق الأصغر إذا بقي صاحبه في دائرة الإيمان والتوحيد العام، وقد ينتكس بصاحبه لينحط به إلى النفاق الأكبر إذا أصبح الباعث على العمل من أصله إرادة غير الله تعالى[1]؛ كما قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[سورة النساء: ١٤٢].

من أجل ذلك وجدنا الإمام الذهبي -رحمه الله- في كتابه الكبائر يقول: "الرياء من النفاق"[2]، وهذا ما يلاحظ في كلام ابن كثير -رحمه الله- في التفسير وكلام المناوي -رحمه الله- في فيض القدير الذي نقلناه عند الحديث عن كون

---

(١) انظر: حكمي، **معارج القبول**، ج٢ ص٤٤٢.

(٢) الذهبي، **الكبائر**، ص١١٦.

الإخلاص ركن في قبول العمل؛ حيث عَدّا الإخلاص نقيض النفاق.

وهذا المعنى أكَّده العلامة ابن رجب -رحمه الله- بقوله: "ومن أعظم خصال النفاق العملي أن يعمل الإنسان عملاً ويظهر أنَّه قصد به الخير، وإنَّما عمله ليتوصل به إلى غرض له سيء فيتم له ذلك، وليتوصل بهذه الخديعة إلى غرضه ويفرح بمكره وخداعه وحمد الناس على ما أظهره ويتوصل به إلى غرضه السيء الذي أبطنه..."[1].

ويقول -رحمه الله- في موطن آخر: "وحاصل الأمر أنَّ النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية؛ كما قال الحسن: من النفاق اختلاف القلب واللسان، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج"[2].

ثالثاً- توصيف الرياء وبيان حكمه

نقصد بالتوصيف التوصيف الشرعي الذي يطلق على الرياء من الأحكام التكليفية الخمسة: الحرام والمكروه والمباح والمستحب والواجب، وقد أجمع أهل العلم على حرمة الرياء؛ بل عدوه كبيرة من الكبائر؛ قال ابن حجر الهيتمي -رحمه الله-: "شهد بتحريمه الكتاب والسنة وانعقد عليه إجماع الأمّة"[3].

---

(١) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص٤٦٩.

(٢) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص٤٦٧ و٤٦٨.

(٣) الهيتمي، **الزواجر**، ج١ ص٦٤.

وأدلة هذا التحريم ظاهرة في الكتاب والسنة، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [سورة البقرة:٢٦٤]، وقوله -سبحانه-: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴾ [سورة النساء:٣٨]؛ إذ جعل الله في هذه الآية من ينفق أمواله رئاء الناس قريناً للشيطان، وكذلك جعل ﷻ الرياء من صفات المنافقين، فقال -عز من قائل-: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [سورة النساء:١٤٢].

وتَوَعُّد الله ﷻ للمرائين في سورة الماعون معلوم للجميع؛ إذ يقول: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧ ﴾ [سورة الماعون:٤-٧]؛ وهنا يلاحظ أنَّ الرياء قد حُرم في مرحلة مبكرة من الإسلام؛ إذ إنّ سورة الماعون مكية؛ مما يدل على خطورته ولزوم الإخلاص على المسلم من أول يوم.

هذا بعض ما جاء في كتاب الله من أدلة تدل على تحريم الرياء، ويضاف إليها ما ورد من آيات في تحريم مطلق الشرك ومطلق النفاق.

أما ما جاء من الأحاديث الناطقة بتحريم الرياء، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أنَّ رجلاً أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم، والرجل

يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكونَ كَلِمَةُ اللهِ هي العُلْيَا فَهوَ في سبيلِ اللهِ**»(١).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**»(٢).

وعن شداد بن أوس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكَ وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ**». قال: قلت: يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك؟ قال: «**نَعَمْ؛ أَمَا إِنَّهُمْ لا يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلا قَمَرًا وَلا حَجَرًا وَلا وَثَنًا، وَلَكِنْ يُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ أَنْ يُصْبِحَ أَحَدُهُمْ صَائِمًا فَتَعْرِضُ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِهِ فَيَتْرُكُ صَوْمَهُ**»(٣).

والأحاديث في ذلك كثيرة؛ كما مرّ وسيمر معنا -إن شاء الله-.

رابعاً- هل الرياء كله مذموم

من خلال ما سبق من عرضٍ لتعريفات العلماء للرياء تبين لنا أنَّ حديثهم كان

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (١٢٣). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (١٩٠٤) واللفظ له.

(٢) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٦٤٩٩). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٩٨٦).

(٣) أخرجه أحمد، **المسند**، ج٤ ص١٢٣. وابن ماجه، **السنن**، رقم (٤٢٠٥). والحاكم، **المستدرك**، رقم (٧٩٤٠)، وقال: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

عن الرياء المذموم في العبادات والقربات الشرعية؛ أمَّا المراءاة في أمور الدنيا فهي غير داخلة في تعريفات الرياء؛ يقول الإمام الغزالي -رحمه الله-: "فإن قلت: فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل؟ فأقول: فيه تفصيل، فإنَّ الرياء هو طلب الجاه، وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات، فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال، فلا يحرم من حيث إنَّه طلب منزلة في قلوب العباد، ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه، وكما أنَّ كسب قليل من المال مما يحتاج إليه الإنسان محمود، فكسب قليل من الجاه، وهو ما يسلم به من الآفات أيضاً محمود"[1].

ثم قال -رحمه الله-: "فإذاً المراءاة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة، وقد تكون طاعة، وقد تكون مذمومة، وذلك بحسب الغرض المطلوب منها..."[2].

وهذا ما أكده ابن حجر الهيتمي -رحمه الله- بقوله: "وقد يطلق الرياء على أمر مباح، وهو طلب نحو الجاه والتوقير بغير عبادة؛ كَأَنْ يقصد بزينة لباسه الثناء عليه بالنظافة والجمالة ونحو ذلك"[3].

---

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٢٩٩.

(٢) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٣٠٠.

(٣) الهيتمي، **الزواجر**، ج١ ص٧٧.

لكن هنا يطرح سؤال ولّده كلام الغزالي -رحمه الله-، وهو: كيف يكون الرياء طاعة؟ فنقول: مثاله قريب، وهو إظهار القوة للكفار في ساحة المعركة لإرهاب العدو، فهذا قربة من القرب.

وقبل أن نختم الكلام في هذه المسألة يجدر بنا أن نقول: إنَّه إذا أُطلق الرياء في النصوص والكلام فإنه يراد به الرياء المذموم المحرّم.

خامساً- عقوبة ترك الإخلاص وقصد غير الله في العمل

جاءت النصوص تنهى عن الرياء، وتأمر بإخلاص الدين لله تعالى، وتوعدت من يسلك سبيل المرائين، ويترك الإخلاص لرب العالمين بعقوبات عدة نوردها هنا مع أدلتها.

أ- فضح المرائي على الملأ يوم القيامة:

من عقوبات الله تعالى لمن يتعاطى الرياء أن يفضحه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأنَّه عَمِلَ ابتغاء مرضاة الناس لا ابتغاء مرضاة الله ﷻ، وقد مرّ بنا ما رواه البخاري عن جندب بن عبد الله ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**»[1]، وفُسر هذا الحديث بأنَّه من أظهر عمله للناس رياءً أظهر الله نيته الفاسدة في عمله يوم القيامة، وفضحه

---

(١) البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٦٤٩٩). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٩٨٦).

على رؤوس الأشهاد.

فالمرائي تظهر نيته يوم القيامة، ويفتضح أمره على رؤوس الخلائق، والناس يبعثون على أعمالهم وعلى ما نووا عليه، فقد روى أبو داود (ت ٢٧٥هـ)-رحمه الله تعالى- عن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قلت يا رسول الله: أخبرني عن الجهاد والغزو، فقال: «**يَا عَبْدَاللهِ بْنَ عَمْرٍو إِنْ قَاتَلْتَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا بَعَثَكَ اللهُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، وَإِنْ قَاتَلْتَ مُرَائِيًا مُكَاثِرًا بَعَثَكَ اللهُ مُرَائِيًا مُكَاثِرًا، يَا عَبْدَاللهِ بْنَ عَمْرٍو عَلَى أَيِّ حَالٍ قَاتَلْتَ أَوْ قُتِلْتَ بَعَثَكَ اللهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ**»[1].

إنَّه الجزاء من جنس العمل، فكما أشرك في نيته ابتغاء مدح الناس وثنائهم عليه فضحه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة في يوم هو بأمس الحاجة فيه إلى ستر ذنوبه وغفرانها.

وفي مقابل ذلك يُشهر الله عمل المخلصين، ويظهر حسناتهم أمام الخلائق واضحة جلية، فما يُستر هو الذي يُظهر يوم القيامة.

إنَّ المرائين ستروا رياءهم خلف أعمالهم فأظهره الله يوم القيامة، والمخلصون ستروا أعمالهم إخلاصاً لله فأظهرها الله في ذلك اليوم؛ يقول بشر الحافي -رحمه الله-:

---

(١) أبو داود، **السنن**، رقم (٢٥٢١). والحاكم، **المستدرك**، ج٢ ص٨٥-٨٦، وقال: حديث صحيح ووافقه الذهبي.

"ما أعرف رجلاً أحب أن يعرف إلاّ ذهب دينه وافتضح"[1]، وهذه تجربة منه -رحمه الله- تعضد ما فهمناه من الحديث السابق من أنَّ الجزاء من جنس العمل.

ب- حبوط العمل

بيّنّا فيما سبق أنَّ من شروط قبول العمل عند الله تعالى الإخلاص؛ لذلك كان من عقوبات ترك الإخلاص والرياء حبوط العمل وعدم قبوله ورده على صاحبه، فالله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك، ولا يقبل من العمل إلاّ ما كان له خالصاً، وقد دلت آيات وأحاديث على حبوط العمل ورده إذا كان فيه رياء على تفصيل بيّنه أهل العلم، فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾** ﴾ [سورة هود:١٥-١٦].

يقول المفسر ابن عطية (ت٥٤٢هـ) -رحمه الله- في تفسير هذه الآيات: "قال مجاهد: هي في الكفرة وفي أهل الرياء من المؤمنين، وإلى هذا ذهب معاوية ﷺ"[2].

ويقول صديق خان -رحمه الله- في تفسيره: "والمعنى أنَّ من كان يريد بعمله حظ الدنيا يكافأ بذلك، وليس المراد مجرد الإرادة، والمراد بزينتها ما يزينها ويحسنها

---

(١) ابن عباد، **غيث المواهب العلية**، ص٢١.

(٢) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٣ ص١٥٦.

من الصحة والأمن والسعة في الرزق وارتفاع الحظ ونفاذ القول وكثرة الأولاد والرياسة ونحو ذلك"[1].

ومن الأحاديث الدالة على حبوط أعمال المرائين وعدم قبولها ما رواه الإمام أحمد -رحمه الله- عن أبي بن كعب ﷺ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ عَمِلَ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ**»[2].

فنفى الحديث أن يكون لمن أراد غير وجه الله نصيب من عبادته في الآخرة؛ بمعنى أن لا أجر ولا ثواب.

وروى الإمام مسلم -رحمه الله- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ الله تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[3].

وقد اتفق أهل العلم على أنَّ العمل إذا تمحض للرياء فإنَّه باطل مردود،

---

(١) البروسوي، **فتح البيان**، ج٣ ص٢٨٩.

(٢) أخرجه أحمد، **المسند**، ج٥ ص١٣٤. والحاكم، **المستدرك**، ج٤ ص٣٤٦، وقال: صحيح. ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٩٨٥). والترمذي، **الجامع**، رقم (٣١٥٤). وابن ماجه، **السنن**، رقم (٤٢٠٢).

واختلفوا في العمل إذا شابته شائبة الرياء وكان الأصل في النية التوجه إلى الله ﷻ، فقد ذهب المحاسبي؛ كما ذكر الغزالي في الإحياء، والعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) إلى أنَّ العمل يبطل بمجرد أن يُشاب بأيِّ شائبة من شوائب الرياء[1]، وذهب جمهور أهل العلم إلى التفصيل في ذلك، فالرياء عندهم من جهة إبطاله للعبادة على قسمين:

الأول- أن يكون في أصل العبادة؛ أي ما قام صاحبه يتعبد إلاّ رياء فهذا نفاق، وعمل باطل مردود على صاحبه باتفاق العلماء.

والثاني- أن يكون الرياء طارئاً على العبادة؛ أي أنَّ أصل العبادة لله؛ لكن طرأ عليها الرياء، فهذا ينقسم أيضاً إلى قسمين:

الأول- أن يدافعه فهذا لا يضره -إن شاء الله-، ومثاله: رجل يصلي فصلى الركعة الأولى ثم جاء أناس في الركعة الثانية فحصل في قلبه شيء بأن أطال الركوع أو السجود أو تباكى وما شابه ذلك، فإن دافعه فإنه لا يضره؛ لأنه قام بالجهاد، وقام بالواجب الذي عليه تجاه ذلك.

الثاني- أن يسترسل معه ولا يدافعه، فيطيل السجود والركوع -إن كان في الصلاة- رياءً، أو أراد الصدقة بمائة دينار، فعندما رأى الناس يطلعون إليه تصدق

---

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٣٠٨. ورأي العز نقله الهيتمي في: **الزواجر**، ج١ ص٧٧.

بمئتين رياءً، فمن كان هذا حاله فصّل أهل العلم المقال فيه؛ حيث قالوا: إن هذا الأمر لا يخلو من حالين:

الحال الأولى- أن يكون آخر العبادة والقربة مبنياً على أولها؛ بحيث لا يصح أولها مع فساد آخرها، فقال البعض: هذه كلها فاسدة، وذلك مثل الصلاة؛ إذ إنه لا يمكن أن يفسد آخرها ولا يفسد أولها؛ لذلك إذا شاب الصلاة الرياء في أولها بطل عند هؤلاء إذا لم يدفع المرء الخاطر وتغيرت وجهته لغير الله تعالى، وهناك من أهل العلم -كما ذكر ابن رجب- لا يرى بطلان هذا العمل إذا كانت نيته عند الشروع خالصة لله تعالى لكن بالطبع هذا ينقص من أجره في العمل، ويعاقب على الرياء الذي اقترفه.

الحال الثانية- أن يكون أول العبادة منفصلاً عن آخرها؛ بحيث يصح أولها دون آخرها، فما سبق الرياء فهو صحيح، وما كان بعده فهو باطل، وذلك مثل أن يكون رجل عنده مائة دينار فتصدق بخمسين بنية خالصة ثم تصدق بخمسين بقصد الرياء، فالأولى مقبولة والثانية غير مقبولة؛ لأن آخرها منفك عن أولها[1].

وكذلك الأمر إذا طرأ الخاطر على المرء بعد انتهائه من العمل، وإن كان الأمر

---

(١) انظر: ابن عثيمين، **القول المفيد في شرح كتاب التوحيد**، ج١ ص١١٧. وابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص٢٠ و٢١.

فيه أهون[1].

ويجدر بنا هنا أن نبين أنَّ حبوط العمل لا يعني فقط عدم ترتب الأجر عليه عند الله تعالى؛ بل يضاف إلى ذلك الإثم الذي يلحق المرائي بسبب ريائه؛ كما دلت الأدلة الدالة على تعذيب أهل الرياء في النار.

ومن الأحاديث الدالة على حبوط العمل ما روي عن أنس بن مالك ﷺ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتَى يومَ القيامةِ بِصُحفٍ مُختمة، فتُنصَبُ بين يدي الله تعالى، فيقولُ تبارك وتعالى: أَلقُوا هذه واقبَلُوا هذه. فتقولُ الملائكةُ: وَعِزتِك وجَلالِك ما رأَينا إلاّ خيراً. فيقول ﷻ: إنَّ هذا كَان لغير وَجهي، وإنِّي لا أَقبلُ إلاّ ما ابتُغي بِه وجهي**»[2].

فالله هو المطلع على القلوب، وهو العالم إلى أي وجهة كان عمل العامل؛ لذلك فهو يقبل ما ابتغى به وجهه، ويرد ما لم يرد به وجهه.

وبمناسبة الحديث عن بطلان العمل بسبب الرياء لا بد من التنبيه على أنَّ الشيطان قد يأتي للإنسان ويوهمه أنَّه يعمل رياءً ويعمل من أجل الناس ليدفعه إلى

---

(١) المحاسبي، **آداب النفوس**، ص١٠٦.

(٢) أخرجه الطبراني، **المعجم الأوسط**، رقم (٢٦٠٣). والدارقطني، **السنن**، ج١ ص٥١. وقال الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج١٠ ص٣٥: "أخرجه الطبراني في الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح".

ترك العمل، وهنا يجب على الإنسان أن يحذر، وأن يدفع الشيطان ووساوسه، وأن يقبل على العمل بأنشط مما كان عليه بعد الاستعاذة بالله من الشيطان ودفع كل خاطرة رياء.

قضية أخرى يجدر بنا الحديث عنها؛ وهي اختلاط النية في العمل الصالح مع عمل آخر من أعمال الدنيا المباحة؛ كمن حَجَّ ليتجُر، وكمن يصوم للحمية وما شابه، فهل هذا له أجر العمل عند الله؟

فما نراه في ذلك أنَّ مما لا شك فيه أنَّ للعامل ثواب على العمل طالما أنَّه نوى القربة لله ﷻ في ذلك العمل، ولكن ينقص أجره عن أجر من تمحضت نيته للعمل وتجرد عن أي منفعة أخرى، ويكون الأجر حسب المحرك والدافع للعمل، فإن كانت القربى أكثر كان الأجر أكبر، وإن كان الأمر الدنيوي المباح تعاطيه كان الأجر أقل، وفي ذلك يقول ابن رجب -رحمه الله-: "فإن خالط نيته الجهاد مثل نية غير الرياء؛ مثل أخذ أجرة للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة، نقص بذلك أجر جهاده، ولم يبطل بالكلية، وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُصِيبُونَ غَنِيمَةً إِلَّا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنْ الْآخِرَةِ، وَيَبْقَى لَهُمْ الثُّلُثُ، فَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (١٩٠٦). والنسائي، **السنن**، رقم (٣١٢٥). وأبو داود،

وقد ذكرنا -والكلام لابن رجب- أحاديث تدل على أنَّ من أراد بجهوده عرضاً من الدنيا أنَّه لا أجر له، وهي محمولة على أنَّه لم يكن له غرض من الجهاد إلاّ الدنيا"[1].

وينقل ابن قدامة (ت ٦٢٠هـ) -رحمه الله- في مختصر منهاج القاصدين الإجماع على أنَّ من خرج حاجاً ومعه تجارة مع حجه أثيب عليه، ولو امتزج به حظ من حظوظ النفس طالما أنَّ الحج هو المحرك الأصلي له، وكذلك الغزو[2].

جـ أول من تسعَر بهم النار أهل الرياء

من عقوبات أهل الرياء أنَّهم أول من يقضى بينهم وأول من تسعّر بهم نار جهنم يوم القيامة، فهم لا يدخلون النار فحسب؛ بل يكونون ممن تسعّر بهم.

وفي دخولهم النار روى الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- عن جابر بن عبد الله ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ لَقِيَ اللهَّ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، ومن لقيه يُشْرِكُ بِهِ شيئاً دَخَلَ النَّارَ**»[3].

السنن، رقم (٢٤٩٩). وابن ماجه، **السنن**، رقم (٢٧٨٥).

(١) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص٢٠ بتصرف.

(٢) المقدسي، **مختصر منهاج القاصدين**، ص٣٦٧.

(٣) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٩٣).

ولقد مضى أنَّ الرياء نوع من أنواع الشرك، وجاء التصريح على أنَّه الشرك الأصغر، وهذا الحديث دلَّ على أنَّ من كان في قلبه شيء ولو يسير من الشرك دخل النار -والعياذ بالله-.

وأما ما روي أنَّ أهل الرياء هم أول من تسعّر بهم النار، فقد جاء هذا صريحاً في حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ أوَّل من تسعّر بهم النار قارئ وشهيد ومنفق، وذلك بسبب ريائهم -والعياذ بالله-، ونورد هنا رواية الترمذي -رحمه الله- لما فيها من زيادة تبين مدى تأثر أبي هريرة ﷺ وخوفه من هذا الحديث.

فعن شفي بن ماتع الأصبحي -رحمه الله- أَنَّه دخل المدينةَ، فَإِذا هو برجل قد اجتمع عليه الناسُ، فقال: من هذا؟ فقالوا: أَبو هريرة ﷺ، فَدَنوتُ منه، حتى قعدت بين يديه، وهُوَ يُحَدِّثُ الناسَ، فَلَمَّا سكتَ وخلا، قلتُ له: أَسأَلُكَ بحَقٍّ وَحَقٍّ ،لَمَا حَدَّثتَني حديثا سمعتَه من رسولِ الله ﷺ عَقَلْتَهُ وعَلِمْتَهُ، فقال أَبو هريرة: أَفْعَلُ، لأُحَدِّثَنَّكَ حديثا حدَّثَنيه رسولُ الله ﷺ، عَقَلْتُهُ وعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبو هريرةَ نَشْغَة، فمكثْنا قليلاً، ثم أفاق، فقَالَ: لأُحَدِّثَنَّكَ حَديثا حَدَّثنيه رسولُ الله ﷺ في هذا البيت، ما معنا أَحدٌ غيري وغيرُه، ثمَّ نَشَغَ أبو هريرة نَشْغَة أخرى ، ثُمَّ أَفَاقَ ومَسَحَ عن وَجْهِهِ، وقال: أَفعلُ، لأُحَدِّثَنَّكَ حديثا حدَّثنيه رسولُ الله ﷺ، أَنَا وهوَ في هذا البيتِ ، مَا مَعنا أَحَدٌ غَيري وغَيرَهُ ، ثمَّ نشغ أبو هُريرةَ نَشْغَة شديدة، ثُمَّ مَالَ خَارّا على وجهه، فَأَسْنَدتُهُ طَويلاً ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله ﷺ: «**أَن اللهَ إِذَا كانَ يومُ القِيامَةِ يَنزِلُ**

إِلى العِبَادِ ليَقْضِيَ بَينَهُم، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَن يَدعُو به رجلٌ جَمَعَ القُرآنَ، ورجُلٌ قُتِلَ في سبيل الله، ورجلٌ كثيرُ المالِ، فيقولُ اللهُ للقارئ: أَلَم أُعَلِّمْكَ مَا أَنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى، يا ربِّ، قال: فماذا عملتَ فيما علمتَ؟ قال: كنتُ أَقومُ به آناءَ الليل وآناءَ النهار، فيقولُ اللهُ لهُ: كَذَبتَ، وتقولُ له الملائكةُ: كذبتَ، ويقولُ اللهُ لَهُ: بَل أَرَدْت أَن يُقَالَ: فُلانٌ قَارئ، وَقَدْ قِيلَ ذَلِك. ويُؤْتَى بِصَاحِبِ المالِ فيقولُ اللهُ: أَلَم أُوَسِّعْ عليك، حتَّى لَم أَدَعْكَ تحتاجُ إِلى أَحَدٍ؟ قالَ: بَلى، يا ربِّ، قالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فيمَا آتَيتُكَ؟ قال: كنتُ أَصِلُ الرَّحِم، وَأَتَصَدَّق، فيقولُ الله لَهُ: كَذَبْتَ، وتَقُولُ لَهُ الملائِكَةُ: كَذبتَ، ويقولُ اللهُ: بَل أَردت أَن يُقَالَ: فلانٌ جَوادٌ، فقيل ذلك. ثم يُؤتى بالذي قُتِلَ في سبيلِ الله، فيقول اللهُ: فيماذا قُتِلتَ؟ فيقولُ: أَمرتَ بالجهاد في سبيلِكَ، فقاتلتُ حتَّى قُتِلتُ، فيقولُ الله لَهُ: كَذَبتَ، وتقول له الملائكةُ: كَذَبْتَ، ويقولُ اللهُ: بَل أردتَ أَن يُقَالَ: فُلانٌ جَرِيءٌ، فقد قِيلَ ذلك»، ثم ضَربَ رسولُ الله ﷺ على رُكْبتي، فقال: «**يا أَبا هُريرة، أُولئك الثلاثة أَوَّلُ خَلقِ اللهِ تُسَعَّرُ بهم النار يوم القيامة**»[1].

ويبيّن ابن رجب -رحمه الله- في كتابه (التخويف من النار) معنى تسعير النار، فيقول: "تسعير النار أخص من دخولها، فإنَّ تسعيرها يقتضي تلهبها وإيقادها، وهذا قَدْرٌ زائد على مجرد الدخول، وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة؛ لأنَّ

---

(١) أخرجه مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (١٩٠٥). والترمذي، **الجامع**، رقم (٢٣٨٢). والنسائي، **السنن الكبرى**، رقم (١١٨٢٣).

الرياء هو الشرك الأصغر، والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم"[1].

إذاً فتسعير النار بالمرائين أعظم من إدخالهم فيها فقط، وإذا كان دخول النار فيه ما فيه من الألم والعذاب والضنك، فكيف الحال بمن تسعر به وتوقد به ويزداد لهيبها به، فمرة أخرى نسأل الله العفو والعافية.

د- المنع من السجود يوم القيامة مع المؤمنين

من هذه العقوبات أنَّ الله يمنع من كان يسجد له رياء وسمعة في الدنيا من السجود له يوم القيامة، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يكْشِفُ ربُّنا عن ساقِهِ** -في يوم القيامة-[2]، **فيسجُدُ له كُلُّ مؤمِنٍ ومُؤمِنَةٍ، ويَبْقى من كان يسجُدُ في الدُّنيا رِياء وسُمْعَة، فيذهبُ ليسجدَ فيعودُ ظَهرُهُ طَبَقاً واحداً**»[3].

سادساً- آثار الرياء على النفس

يولّد الرياء مجموعة من الأمراض التي تفتك بالقلب وتصرفه عن طريقه الصحيح الموصل إلى الله تعالى، وقد أورد الإمام المحاسبي -رحمه الله- هذه الأمراض نوردها هنا مع شيء من البيان:

---

(١) ابن رجب الحنبلي، **التخويف من النار**، ص٢٢٧.

(٢) ما بين الشرطتين ليس من الحديث وإنما أدرجته للتوضيح.

(٣) صحيح البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٤٩١٩).

المرض الأول- حب الرئاسة والتعظيم:

فالرياء يولّد في القلب حب التعظيم والرياسة وتسخير العباد واحتقارهم، وأن لا يرد له شيء من قوله، ولا يساوى في الخير بغيره، ولا يقدم عليه غيره، وإن وَعَظَ عَنَّف، وإن وُعِظ عَنِف فلم يقبل موعظة غيره، وإن علم أنه على خطأ بقي على الباطل لئلا تتكسر رئاسته[1].

المرض الثاني- المباهاة والتفاخر[2]:

من الأمراض التي يولدها الرياء المباهاة، فالمرائي دائماً في استعراض للذات، فإن كان في حلقة علم تصدر الحلقة بالسؤال كي يرى مكانه أو يقتحم الجواب اقتحاماً.

وهذا المباهي وإن كان مع قوم منهم من قام إلى صلاة أو ذكر أو أي عمل من أعمال البر سابقه إلى ذلك لا ليطبق قول الله ﷻ: ﴿ **وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ** ﴾[سورة المطففين:٢٦]؛ بل من أجل أن يظهر نفسه أنَّه مع أهل الصلاح وأهل الفلاح. وكذلك الأمر في أمور الدنيا، وإن كان هذا لا إثم فيه إن لم يكن فيه ظلم للآخرين واعتداء عليهم.

---

(١) المحاسبي، **الرعاية لحقوق الله**، ص٢٢٣.

(٢) المحاسبي، **الرعاية لحقوق الله**، ص٢٢٤ و٢٢٥.

وهذه المباهاة تسبب الألم والضيق في النفس إذا لم يتمكن المباهي من اللحاق بغيره ومجاراتهم.

المرض الثالث التحاسد:

الرياء يبعث على الحسد، فيحسد المرائي كل من فاقه في منزلة أو مكانة حتى لو كانت متوهمة؛ روى عن عمر ﷺ أنَّه قال لأبي أمية: "لا أبقاني الله وإياك إلى زمان يتغاير فيه على العلم كما يتغاير على النساء"[1].

والحسد مرض خطير يستحق أن يفرد بمؤلف وحده؛ لكن يجدر بنا الإشارة إلى بعض جوانبه لخطورته، فنقول: إنَّ الحسد يعني كراهة النعمة، وحب زوالها عن المنعم عليه. وقيل: هو تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد.

وبهذا يظهر أنَّ مذمة الحسد جاءت من تمني زوال النعمة عن الغير، وأما تمني حصول ما في الغير من نعمة من دون تمني زوالها فهذا ليس بحسد؛ بل هو الغبطة، وهي صفة المؤمن بينما الحسد صفة المنافق -والعياذ بالله-[2].

ولقد ذم الله الحسد في كتابه الكريم، ووصف به الكفرة من أهل الكتاب والمنافقين، وأنزل سبحانه سورة يرقى بها من الحسد والحاسدين وهي سورة الفلق.

---

(١) المحاسبي، **الرعاية لحقوق الله**، ص٢٢٦.

(٢) **نضرة النعيم**، ج١٠ ص٤٤١٧-٤٤١٨.

وكذلك جاءت أحاديث عدة تنهى عن الحسد وتحذر منه، ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «... **ولا تحاسَدُوا، ولا تَبَاغضُوا، ولا تَدَابَروا، وكُونوا عبادَ اللهِ إِخواناً**»[1].

وبين النبي ﷺ أنَّ الحسد والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد، فعن أبي هريرة ﷺ أيضاً أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**ولا يجتمعان في قلب عبدٍ الإيمان والحسد**»[2].

وبيّن عليه الصلاة والسلام خطورته على الدين؛ حيث قال مخاطباً الصحابة: «**دَبَّ إليكم دَاءُ الأُممِ قَبلَكم: الحسدُ والبغضاءُ، وَهي الْحَالِقةُ أمَا إنِّي لا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، ولكن تَحْلِقُ الدِّينَ، والَّذي نَفْسي بِيدِه، لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حتَّى تُؤمِنوا، ولا تُؤمِنُون حتى تَحابُّوا، أَلا أدُلُّكم على مَا تَتَحَابُّونَ بِهِ؟ افْشُوا السلامَ بينكم**»[3]، والجمع بين الحسد والبغضاء في الحديث؛ لأنَّ الحسد سبب البغضاء.

مما سبق تبرز لنا خطورة الحسد على المؤمن؛ لذلك لنحرص كل الحرص على اتقائه، وليعلم القارئ الكريم أن ما من عداوة بين مسلمين؛ بل بين إنسانين إلاّ وسببها الحسد، وكفاك مثلاً بالعداوة الأولى بين إبليس وآدم، وكذلك أول عداوة كانت على الأرض بين ابني آدم كان سببها الحسد.

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٦٠٦٦). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٥٦٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه النسائي، **السنن**، رقم (٣١٠٩)، وهو صحيح. انظر: **صحيح النسائي**، رقم (٢٩١٢).

(٣) أخرجه الترمذي، **السنن**، رقم (٢٥١٠). وهو حديث حسن بمجموع طرقه.

المرض الرابع- حب الغلبة[1]:

من هذه الأمراض التي ينتجها الرياء حب الغلبة إذا تناقش مع أحد، فالمرائي قد تتفق أنت وإيَّاه إن دار بينك وبينه حوار؛ لكنه على الرغم من ذلك يأبى إلاّ أن يخالفك ويرد عليك وهو يعلم أنكما على اتفاق ، وذلك ليرضي هذا المرض في نفسه فيظن أنَّه ظهر في مظهر المنتصر.

وما هذا إلاّ من أجل أن يمدحه الناس ويثنوا عليه؛ أي أنَّه ما يقوم بذلك إلاّ رياءً وطلباً لرضا الناس.

سابعاً- تصرفات خاطئة لدفع الرياء

أ- ترك العمل:

من التصرفات الخاطئة لدفع الرياء أن يترك المرء العمل بحجة أنَّه مراءٍ أو يخاف على نفسه الرياء، فإذا فعل المرء ذلك يكون قد أوقع نفسه في مصيدة الشيطان، إذ لا هَمّ للشيطان إلاّ أن يبعد الإنسان عن العمل كي يستدرجه إلى الوقوع في الإثم فيما بعد؛ روي عن الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالى- أنَّه قال: "ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما".

ومن ذلك أنَّ بعض الناس يتقدم للمسجد، فإذا رآه الناس خجل وخاف من

---

(١) المحاسبي، **الرعاية لحقوق الله**، ص٢٢٧.

الرياء فأصبح لا يأتي إلاّ متأخراً، ثم يستدرجه الشيطان فيدفعه لترك الصلاة في المسجد. وبعضهم يقرأ القرآن ويحفظه، فإذا رآه الناس أو استمعوا إلى قراءته أو دعوا له خاف من الرياء فترك قراءة القرآن[1]، وكل ذلك من الشيطان حتى يبعده عن رب العالمين.

ويضرب الإمام الغزالي -رحمه الله- مثلاً لتارك العمل خوف الرياء بالأجير الذي كلف بعمل فتركه خشية ألا يتقنه؛ حيث يقول: "ومثال مَن يترك العمل لخوفه أن يكون مرائياً كمن سَلَّم إليه مولاه حنطة فيها زوان، وقال: خلصها من الزوان ونقها منه تنقية بالغة، فيترك أصل العمل ويقول: أخاف إن اشتغلت به لم تخلص خلاصاً صافياً نقياً".

ثم يقول -رحمه الله- مبيناً الغلط في ترك العمل خوف الرياء: "فترك العمل من أجله ترك الإخلاص مع أصل العمل، فلا معنى له".

ويبين -رحمه الله- أنَّ هناك صنفاً من الناس يترك العمل حتى لا يقال عنه إنَّه مراءٍ، فيقول فيهم: "هو عين الرياء، فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم ما ترك العمل، فما له ولقولهم قالوا إنه مراء أو قالوا إنه مخلص؟"[2]

---

(١) العودة، **عشرون طريقة للرياء**، ص٣٣-٣٤.

(٢) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٣٢٢ و٣٢٣ بتصرف.

ثم يبين -رحمه الله- ماذا يجب على المرء تجاه ذلك، فيقول: "فما دمت تجد باعثاً دينياً على العمل، فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء، وألزم قلبك الحياء من الله إذا دعتك نفسك إلى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين، وهو مطلع على قلبك...؛ بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل ما دمت تستشعر الكره للرياء والخوف منه.

فإن لم تجد في قلبك له كراهة ومنه خوفاً ولم يبق باعث ديني؛ بل تجرد باعث الرياء، فاترك العمل عند ذلك، وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل الثواب"[1].

إذاً إذا وُجِدَ الباعث الديني على العمل فلا ينبغي للمرء ترك العمل، وعليه بالمجاهدة وغلق منافذ الشيطان بالذكر والدعاء واستذكار عظمة الله تعالى.

وقد تستشكل بعض الآثار التي وردت عن السلف من أهل العلم في ترك العمل، فنقول: إنَّ هذه الآثار دلت على ترك العمل في حال العلانية، ولم تدل على ترك العمل مطلقاً، وشتان بين الأمرين، أو أنَّ الترك كان لعارض آخر غير مخافة الرياء مع وجود مَن يقوم به.

---

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٣٢٣ بتصرف وجيز.

وهذا في دائرة المستحبات، أما دائرة الواجبات فلا يجوز ترك شيء منها، وعلى الإنسان مجاهدة النفس حتى يكون من المخلصين.

وربما ترك بعض الناس العمل الذي يعمله؛ لأنَّه عظم في عينه كأن يخطب الجمعة، أو يتكلم بعد الصلاة بكلمات يسيرات يعلم بها الناس الخير، فيخيل إليه حينئذٍ أنَّ هذا العمل جليل، وأنَّ الناس تتحدث بكلامه، وأنَّه أصبح حديث المجالس، فلذلك قد يدخله شيء من العجب، فيحس ذلك في نفسه، فيخشى الرياء، ويرى السلامة والفكاك في ترك العمل كله، فلا يخطب ولا يتكلم.

وهذا شَرَك إبليسي قديم وعلاجه الحقيقي أن يُعوِّد نفسه القيام بالأعمال الصالحة مع تحقيرها في نفسه، وأن يُعوِّد نفسه أن لا يرفع بكلام الناس رأساً مع دوام المحاسبة على التقصير، وأن يرى عيوب نفسه ويفتش عنها[1].

بـ القيام بأعمال تسقط الإنسان من أعين الناس:

ومن هذه التصرفات الخاطئة لدفع الرياء القيام بأعمال تسقط المرء من أعين الناس، فنحن لسنا مكلفين بتحقير أنفسنا وتشويه صورتنا؛ بل إن هذا منهي عنه، والأدهى من ذلك أن يكون هذا التشويه بفعل عمل حرمه الله أو التشبه بأصحاب المعاصي والمنكرات.

---

(١) انظر: العودة، **عشرون طريقة للرياء**، ص٣٤.

ولقد وردت روايات عن بعض الزهاد بمثل ذلك، وجاءت لها تعليلات وتبريرات، ولا أظن الخطب يحتاج لإطالة الكلام إلاّ أن نقول إنَّ هذا ليس من مسالك النبوة ولا مسالك سلف الأمّة،فهو رد على فاعله، ونلتمس له العذر لنيته. فقد نهى النبي ﷺ المؤمن أن يذل المسلم نفسه ويهينها، جاء في الحديث عن حذيفة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذِلَّ نَفْسَهُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «**يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ**»(١).

ولعل فعل بعض الأعمال التي تجعل الناس يذمون المرء شكل من أشكال الرياء؛ كما قال الحسن البصري –رحمه الله–: "من ذمّ نفسه في الملأ فقد مدحها، وذلك من علامات الرياء".

فالبعض يتظاهر بالتواضع فيعيب نفسه ويلومها ويوبخها في حضرة الناس، وينسب لنفسه النقص والعيب في كل مناسبة، فيقول: أنا مسكين، الله المستعان، ما عملت شيئاً وإنما قصده إظهار التواضع؛ بل ربما سب نفسه لأجل ذلك.

والواجب على الفطن القصد والاعتدال فلا يسب نفسه مظهراً ذلك ولا يمدحها أيضاً.

---

(١) أخرجه الترمذي، **السنن**، رقم (٢٢٥٤)، وقال حديث حسن غريب. وابن ماجه، **السنن**، رقم (٤٠١٦).

المبحث الخامس

دوافع وبواعث الإخلاص والنية الصادقة

للإخلاص والنية الصادقة دوافع وبواعث إذا وجدت فإنَّ الإنسان يعبر منها من على قنطرة المخلصين، ومن تلك الدوافع والبواعث:

أولاً- العلم بالله وبشرعه والعلم بأمراض القلوب وعلاجها

من دوافع وبواعث الإخلاص العلم، ونقصد بالعلم العلم بالله تعالى، والعلم بأحوال القلوب، والعلم بأمراض القلوب وخطورتها وكيفية التخلص منها واجتنابها، والعلم بأحكام الشرع، فإذا علم المرء بالله وبمقدار عظمته، وبأنَّه وحده الذي بيده الضر والنفع، وأنَّه الذي بيده نواصي الخلق علماً حقيقياً، فسيتولد عنده توحيد الوجهة إلى الله تعالى، وصرف النظر عن الآخرين.

وإذا علم المرء أحوال القلوب، وأنَّها تتقلب كما يتقلب الماء المغلي في القدر ألزمها طريقة واحدة وراقبها حتى لا تغير وجهتها. وإذا علم المرء بأمراض القلوب وخطورتها على دينه فإنَّه لا شك سيصرف نفسه إلى ما فيه العلاج والحياة لقلبه. وإذا علم بأحكام شريعة الله تعالى، ومتى يكون العمل مقبولاً ومتى يكود مردوداً، لا شك أنَّه سيتحرى القبول، ناهيك عن أن يعلم المرء ما أعده الله من ثواب للمخلصين، وما أعده من عقاب للمرائين، فكما قال ابن عطاء -رحمه الله-: "لا

يخرج الشهوة من القلب إلاّ خوف مزعج أو شوق مقلق"[1].

فالمؤمن عليه أن يقرأ ما يُعرّفه بالله ويزيد إيمانه، وليس هناك أعظم من كتاب الله تعالى يعرف المرء على الله تعالى، وكذلك التفكر في هذا الكون وما فيه من عجيب صنع الخالق يؤجج الشوق إلى عبودية الله وحده.

وعلى المؤمن أن يقرأ في كتب التزكية المعرِّفة على أعمال القلوب وأمراض القلوب؛ كي يعلم ما يجب عليه فعله، وما يجب عليه أن ينفيه عن قلبه؛ وكيف الخلاص إن ابتلي به، وخير ما كتب في ذلك (مدارج السالكين) لابن القيم الجوزية ومن قبله (إحياء علوم الدين) للغزالي، وتهذيبهما، و(مختصر منهاج القاصدين) لابن قدامة المقدسي، والذي هو مختصر للإحياء، وكذلك مما تجدر الإشارة إليه (حِكَم ابن عطاء)، وشرحها لابن عباد المسمى بـ(غيث المواهب العلية شرح الحكم العطائية).

ومن الكتب الحديثة في هذا الباب (المستخلص في تزكية الأنفس) للشيخ سعيد حوى (ت ١٤٠٩هـ) -رحمه الله-، وكتابه أيضاً (جند الله ثقافة وأخلاقاً)، ومما يشار إليه في هذا المجال الموسوعة المسماة بـ(نضرة النعيم)، والتي أشرف على إخراجها كل من د.ابن حميد ود.ملوح، فننصح كل طالب علم؛ بل كل مسلم بقراءة أبوابها إن تيسّر.

---

(١) ابن عباد، **غيث المواهب**، ص٢٥٢.

كذلك أن يكثر المرء من القراءة في أحوال أهل الآخرة وأهل البرزخ، وما أعده الله للطائعين وما أعده للعاصين، فلهذا أثر عجيب في تجريد القلب لله تعالى، ونشير في ذلك إلى تذكرة القرطبي (ت ٦٧١هـ) -رحمه الله-.

فبعد قراءة ذلك لا بد أن يتساءل المرء كيف يحرم نفسه من الثواب العظيم ليضع نفسه في سخط الله بسبب نية كان يجدر أن يوجهها لوجهتها وهو الله تعالى؟!

ولسنا في صدد التحدث في هذه الموضوعات، ولكن هذه إشارات يجدر بكل واحد أن يقتفيها كي يكون مع المخلصين.

ثانياً- صحبة أهل الإخلاص والصلاح

من الأسباب الجالبة للإخلاص صحبة ومجالسة أهل الإخلاص وأهل الصلاح، فقديماً قال الشاعر:

إن كُنتَ تبغي الأَمْرَ أو أصلـــه ... شـــاهداً يُخْبر عن غـــائـــبِ

فاعْتَبِر الأرضَ بأَشْـباهـهـــا ... اعْتَبر الصّاحـب بالصَّاحـــب

وقال آخر:

عَنِ المَرءِ لا تَسل وَسَل عَن قَرينِهِ ... فَكُـلُّ قَـرينٍ بِالمُقـارِنِ يَقتَـدي[1]

---

(١) انظر هذه الأبيات في: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج١ ص١٩٠.

إذ إنَّ من طبيعة الإنسان التأثر بمن يخالط في السلوك والطباع؛ لذلك قال النبي ﷺ: «**المرءُ على دِين خليله، فلينظرْ أحدُكُم مَن يُخَالِلْ**»[1].

وكذلك جاء في الحديث عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنَّه قال: قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا مَثلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً مُنْتِنَةً**»[2]؛ ومن هذه النصوص وغيرها أخرج لنا ابن عطاء -رحمه الله- حكمة من حكمه، فقال: "لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله"[3]؛ ويعلل ذلك بقوله: "ربما كنت مسيئاً فأراك الإحسان صحبتك من هو أسوأ حالاً منك"[4]، فصحبة من هو دونك في الإيمان والعمل الصالح تدفعك إلى الشعور بأنَّك محسن مما يولّد العُجب في نفسك.

إنَّ لصحبة المرء أهل الإيمان والإخلاص أثر كبير في شخصيته؛ لذلك كان

---

(١) أخرجه الترمذي، **السنن**، رقم (٢٣٧٨) وقال حديث حسن غريب. وأبو داوود، **السنن**، رقم (٤٨٣٣). وأحمد، **المسند**، ج٢ ص٣٠٣ وص٣٠٤ عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، رقم (٥٢١٤). ومسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٦٢٨) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) ابن عباد، **غيث المواهب**، ص٦٦.

(٤) ابن عباد، **غيث المواهب**، ص٧٠.

السلف من علمائنا يحرصون على مرافقة الصالحين والجلوس معهم حتى يكتسبوا منهم صفات أهل الإيمان وأهل الصلاح.

ومما يروى في ذلك أنَّ مجلس الإمام أحمد -رحمه الله- كان يجلس فيه خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمس مائة يكتبون، والباقون يتعلمون حسن الأدب، وحسن السَمْت[1]؛ أي يتعلمون من أدب وخلق وتصرفات الإمام أحمد.

ثالثاً- قراءة سير السلف الصالح والعلماء في الإخلاص

ومن الأسباب الباعثة للإخلاص أن يقرأ المرء في سير السلف الصالح من الصحابة والتابعين وعلماء الأمّة عبر التاريخ؛ إذ لهذا أثر عجيب في غرس الإيمان وأخلاقه في القلوب، "فإنَّ أخبار العلماء العاملين والنبهاء الصالحين من خير الوسائل التي تغرس الفضائل في النفوس، وتدفعها إلى تحمل الشدائد والمكاره في سبيل الغايات النبيلة والمقاصد الجليلة، وتبعثها إلى التأسي بذوي التضحيات والعزمات، لتسموا إلى أعلى الدرجات وأشرف المقامات"[2].

ومن هنا قال أبو القاسم الجنيد بن محمد -رحمه الله-: "الحكايات جند من جنود الله ﷻ يَقوى بها إيمان المريد"، فقيل له: هل لهذا من شاهد؟ قال: "قوله تعالى:

---

(١) ابن الجوزي، **مناقب الإمام أحمد**، ص٢١٠. (نقلاً عن رسالة المسترشدين، ص١٠٤).

(٢) أبو غدة، **صفحات من صبر العلماء**، ص١٧.

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة هود: ١٢٠]"[١].

ويقول الإمام أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ) -رحمه الله- في ذلك: "الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبُّ إليّ من كثير من الفقه؛ لأنَّها آداب القوم وأخلاقهم"[٢].

وقال حمدون بن أحمد النيسابوري -رحمه الله-: "من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درك درجات الرجال"[٣].

ويذكر ابن الجوزي -رحمه الله- في صيد الخاطر عن أثر الحكايات في رقة القلب وحياته بعد تجربة وخبرة، فيقول: "رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب إلاّ أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين، فأما مجرد العلم بالحلال فليس له كبير عمل في رقة القلب، وإنما ترق القلوب بذكر رقائق الأحاديث وأخبار السلف الصالحين؛ لأنَّهم تناولوا مقصود النقل وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها إلى ذوق معانيها والمراد بها.

وما أخبرتك بهذا إلاَّ بعد معالجة وذوق؛ لأنيَّ وجدت جمهور المحدثين

---

(١) الأصفهاني، **تاريخ بغداد**، ج٣ ص٧٥.

(٢) أبو غدة، **صفحات من صبر العلماء**، ص١٧.

(٣) القشيري، **الرسالة القشيرية**، ص١٧.

وطلاب الحديث هِمَّةُ أحدهم في الحديث العالي وتكثير الأجزاء، وجمهور الفقهاء في علوم الجدل وما يغالب به الخصم، وكيف يرق القلب مع هذه الأشياء؟! وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه لا لاقتباس علمه، وذلك أنَّ ثمرة علمه هديه وسمته، فافهم هذا وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا ليكون سبباً لرقة قلبك"[1].

ويوضح موقع سير السلف في بنية العالم فيقول: "أما العالم فعلمه مؤنسه، وكتبه محدثه، والنظر في سير السلف مقومه، والتفكر في حوادث الزمان السابق فرجته"[2].

ويقول العلامة الشيخ عبد الفتاح أبي غدة (ت ١٤١٧هـ)-رحمه الله- في كتابه القيم -وكل كتبه قيمة- (صفحات من صبر العلماء على التحصيل): "إنَّ خير وسيلة لإشعال العزائم، وإثارة الروح الوثابة، وقدح المواهب، وإذكاء الهمم وتقويم الأخلاق بصمت وهدوء ودون أمر أو نهي، والتسامي إلى معالي الأمور والترفع عن سفاسفها، والائتساء بالأسلاف الأجلاء هو قراءة سير نبغاء العلماء الصلحاء، والوقوف على أخبار الرجال والعظماء، والتملي من اجتلاء مناقب الصالحين الربانيين، والاقتراب من العلماء النبهاء العاملين المجدّين، فذلك خير مهماز لرفع

---

(١) ابن الجوزي، **صيد الخاطر**، ص٢٢٤.

(٢) ابن الجوزي، **صيد الخاطر**، ص٢٤٧.

الهمم، وشد العزائم، وسمو المقاصد، وإنارة القلوب، وإخلاص النيات وتفجير النبوغ والطاقات المدفونة، والصبر على اجتياز العقبات والصعاب، واحتلال ذرى المجد الرفيع، وكسب الذكر الحسن واغتنام الباقيات الصالحات"[1].

فالقصص التي تروى عن سلف الأمّة وعلمائها وصالحيها إن صحت سنداً، أو قبلها العقل المتمرس لعلوم الشريعة والدين، ولم تخالف ما هو مقرر في الشريعة؛ لها الأثر الكبير في النفوس؛ لذلك كان حرص القرآن الكريم على إيراد القصص، وكذلك جاءت السنة بقصص أخرى منها ما ذكرناه من قصة الثلاثة نفر الذين انسد عليهم الغار فسألوا الله بخالص أعمالهم ففرج الله عنهم ما هم فيه، ولكن ننبه هنا على لزوم الابتعاد عن القصص التي تحمل طابع التهويل والتي حوتها بعض الكتب.

رابعاً- المجاهدة للنفس بإخفاء الأعمال ودفع الخواطر

الباعث الرابع هو مجاهدة النفس، وأعظم مجاهدة لها في هذا الباب أن يخفي الإنسان عمله عن أعين الناس، وأن يبذل قصارى ما يستطيع في قلع أصول هذا الداء من قلبه، والتي هي حب المنزلة والجاه[2]، فيعود المرء نفسه على إخفاء عباداته، ويغلق الأبواب دونها حتى يقنع قلبه بعلم الله ﷻ واطلاعه على عباداته، ولا تنازعه

(١) أبو غدة، **صفحات من صبر العلماء**، ص١٨.

(٢) انظر: الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٣١٠.

النفس إلى طلب علم غير علم الله تعالى به.

وكذلك من مجاهدة النفس دفع العارض في أثناء أداء العبادة، فإنَّ الشيطان لا يترك الإنسان في أثناء أدائه لعبادته إلاّ ويعارضه بخطرات الرياء، فعلى المرء أن يدفع هذه الخطرات خوفاً من أن توصله إلى الرياء.

وخواطر الرياء ثلاث درجات قد تخطر دفعة واحدة وقد تترادف على التدريج، فالأولى- العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم، ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم، ثم يتلوه هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه، فيدفع هذه الخطرات كل حسب حالها.

فالعلم باطلاع الخلق ورجائه يحتاج لدفعه إلى تذكر نفسه بمنزلة الخلق الحقيقية وأنهم لا يملكون له ضراً ولا نفعاً.

وإذا هاجت الرغبة في النفس إلى الحمد وحصول المنزلة يذكر نفسه بمخاطر الرياء عليه في آخرته ومقت الله له.

فإذا هاجت الرغبة في قبول النفس له والركون إليه دافعها وقاتلها قتال المستميت، فإذا علم الله ﷻ منه الصدق دفع عنه هذه الخطرات[1].

---

(١) انظر: الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣ ص٣١٢-٣١٥.

خامساً ـ الدعاء والاستعانة بالله تعالى

الدعاء والاستعانة بالله تعالى أعظم جالب للإخلاص لله ﷻ، وهو أيضاً أعظم علاج لمرض الرياء والوقاية منه، ولقد جاء هذا العلاج حَلاًّ على لسان النبي ﷺ لداء الرياء وهواجسه التي تطرأ على النفس؛ كما علَّم النبي ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه في دفع الرياء أن يقول: «**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ أَعْلَمُ**»(١).

وجاء أنَّ عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي بلبسها عليَّ. فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك شيطان يقال له خِنْزَب، فإذا أَحْسَسْتَهُ فتعوَّذ بالله منه، وانْفُلْ عَن يَسارك ثَلاثاً**»، قال رضي الله عنه: ففعلتُ ذلك فأذهبه الله عني(٢).

انظر بركة الدعاء، فلن يهلك أحدٌ مع الدعاء، فإنَّ أعظم حصن من عذاب الله الفرار منه إلى الله؛ كما قال سبحانه في محكم التنزيل: ﴿ **فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ** ﴾[سورة الذاريات: ٥٠].

سادساً ـ معرفة حقيقة الدنيا والزهد فيها

إنَّ الإنسان إذا عرف قيمة الدنيا، وأنَّها لا تساوي عند الله جناح بعوضة زهد

---

(١) أخرجه البخاري في **الأدب المفرد**، وصححه الألباني، انظر: الألباني، **صحيح الأدب المفرد**، ص٥٥٤.

(٢) مسلم، **الصحيح المسند**، رقم (٢٢٠٣). وأحمد، **المسند**، ج٤ ص٢١٦.

فيها وتركها وأقبل على الله تعالى مخلصاً له، وإذا غابت هذه الحقيقة عن ذهن الإنسان فإنه يتكالب على الدنيا كتكالب الأكلة على قصعتها، فيكون همه أن يحصل الجاه والمنزل عند الناس والثناء والمدح من ألسنتهم؛ لذلك من أهم علاجات النفس الإنسانية للتخلص من داء الرياء وجلب الإخلاص أن يعلم الإنسان حقيقة هذه الدنيا وقيمتها عند الله تعالى.

فالدنيا كما جاء في الحديث لا تساوي عند الله جناح بعوضة؛ وهي أهون على الله من جيفة ألقيت على مزبلة على أهلها، فكيف يستبدل المرء جنة عرضها السماوات والأرض بعرض من الدنيا حقير زائل؟!

قال المحاسبي -رحمه الله-: "أصل الرياء حب الدنيا، وذلك أنَّه لما أحب الدنيا أحب البقاء، فأراد ثبات العدالة فيها، ونشر الجاه، وجميل الذكر، وحسن الثناء، وأحب أن يحسن مذهبه عند أبنائها، ليتسع مراده فيها"[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله: "لا يحصل الإخلاص إلاّ بعد الزهد، ولا زهد إلاّ بتقوى، والتقوى متابعة الأمر والنهي"[2] .

فالزاهد بهذه الدنيا وزخارفها الذي لا يريد علواً في الأرض ولا فساداً هو الذي يسهل عليه الإخلاص ويسجل في سجل المخلصين.

---

(١) المحاسبي، **الوصايا**، ص٢٦٢ بتصرف وجيز.

(٢) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١ ص٩٤.

المبحث السادس
صور وقصص لأهل الإخلاص

لأهمية القدوة العملية وبياناً لِأمثلة تطبيقية للإخلاص والحرص عليه، نورد بعض النماذج من سير الصحابة والسلف والعلماء في حرصهم على الإخلاص:

أولاً- مع عمر ﷺ

كان عمر ﷺ يكثر في دعائه أن يقول: "اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً"(١).

وجاء في البداية والنهاية عن طلحة بن عبيدالله ﷺ أنَّه قال: "خرج عمر ﷺ ليلة فإذا عجوز عمياء مقعدة، فقلت لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ فقالت: إنَّه يتعاهدني مدة كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى. فقلت لنفسي: ثَكلتكَ أمُّك يا طلحة أعثرات عمر تتبع"(٢).

فمِن حِرص عمر ﷺ على الإخلاص أنَّه كان يُسِرُّ عمله -وهو الخليفة- لمدة طويلة.

---

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١٠ ص١٧٣.

(٢) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٧ ص١٤٥.

ثانياً- مع زين العابدين علي بن الحسين -رحمه الله-

من السير الرائقة التي تعبق بشذى الإخلاص سيرة حفيد رسول الله ﷺ زين العابدين علي بن الحسين (ت ٩٥هـ)-رحمه الله- القائل فيه الشاعر الأموي همّام بن غالب المشهور بالفرزدق (ت ١١٠هـ):

هـذا سـليلُ حُسين وابنِ فاطمةٍ ... بنتِ الرَّسولِ الَّذي انجابَتْ بهِ الظُّلَمُ

هـذا الَّذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرفهُ والحِلُّ والحرمُ

هـذا ابن خيرِ عبادِ الله كُلّهمِ ... هـذا التَّقيُّ النَّقيُّ الطَّاهرُ العلَمُ

ينْمي إلى ذروةِ العزّ الَّتي قصرتْ ... عن نيْلها عربُ الإسلامُ والعجمُ

أيُّ القبائلِ ليسَتْ في رقابهمُ ... لأوّليَّةِ هذا أوْ لهَ نِعمُ

يكادُ يُمسكهُ عِرْفانَ راحتِه ... رُكْنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلِمُ

في كفّهِ خَيْزُرانٌ ريحهُ عبقٌ ... من كفِّ أروعَ في عِرْنينه شممُ

يُغْضي حياءً ويُغضى من مهابته ... فما يُكلَّمُ إلاَّ حينَ يبتسمُ

إذا رأتْهُ قريشٌ قال قائلُها ... إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ

يغضي حياءً ويغض من مهابته ... فما يكلم إلاّ حين يبتسم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجَدِّه أنبياءُ الله قد ختموا

قال الذهبي معقباً على هذه الأبيات في السير: "فأمر هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ) بحبس الفرزدق فحبس بعسفان، وبعث إليه علي بن الحسين باثني عشر

ألف درهم، وقال: اعذر أبا فراس (كنية الفرزدق)، فردها، وقال: ما قلت ذلك إلاّ غضباً لله ورسوله فردها إليه، فقال: بحقي عليك لما قبلتها فقد علم الله نيتك ورأى مكانك. فقبلها الفرزدق"[1].

وهذا مثال على إخلاص الشاعر الفرزدق -رحمه الله-، ونعود إلى زين العابدين عليه السلام.

وقد أورد أبو نُعيم في الحلية أمثلة عدة على مدى حرصه عليه السلام على الإخلاص، من ذلك أنَّ علياً بن الحسين كان يحمل جِراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول -رحمه الله-: "إنَّ صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل".

وقيل: إنَّه -رحمه الله- كان يُبَخِّل، فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة.

وفي أثناء تغسيله جعلوا ينظرون إلى آثار سوادٍ بظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقيل: كان يحمل جُرُب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة.

وكان ناس في المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل"[2].

---

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٥ ص٣٤٠.

(٢) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٣ ص١٣٥-١٣٦ باختصار.

فانظر إلى مدى حرصه ﷺ على إخفاء عمله وعدم إظهاره حتى يكون خالصاً لله تعالى.

ثالثاً- مع ابن المبارك

ابن المبارك هو عبد الله بن المبارك بن واضح، ولد عام ١٢٨هـ وتوفي سنة ١٨١هـ، أحد أعلام زمانه، له قصص عجيبة في الإخلاص نورد بعضها هنا.

جاء في تاريخ بغداد وسير أعلام النبلاء أنَّ ابن المبارك كان كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقّة في خان، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث، فقدم عبد الله مرة فلم ير الشاب فخرج في النفير مستعجلاً، فلمَّا رجع سأل عن الشاب، فقيل له: إنَّه محبوس على عشرة آلاف درهم، فاستدل على الغريم، ووزن له عشرة آلاف وحلفه ألاّ يخبر أحداً ما عاش، فأُخرج الرجل، وسرى ابن المبارك فلحقه الفتى على مرحلتين من الرقة، فقال له ابن المبارك: يا فتى أين كنت؟ لم أرك. قال الشاب: يا أبا عبد الرحمن كنت محبوساً بدين. قال: وكيف خلصت؟ قال: جاء رجل فقضى ديني ولم أر من هو. قال ابن المبارك: فاحمد الله. ولم يعلم الرجل إلاّ بعد موت عبدالله[1].

وجاء فيهما أيضاً عن عبدة بن سليمان المروزي أنَّه قال: "كنَّا سريةً مع ابن

---

(١) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٠ ص١٥٨-١٥٩. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٧ ص٦٠٧.

المبارك في بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة وطعنه فقتله، فازدحم الناس، فنظرت فإذا هو عبد الله بن المبارك، وإذا هو يكتم وجهه بكمه كي لا يعرف، فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو هو، فقال -رحمه الله- وأنت يا أبا عمرو مِنْ مَنْ يشنع علينا"[1].

يرحمك الله أبا عبد الرحمن تعد معرفة الناس لهذا العمل تشنيعاً عليك.

وموقف آخر لهذا الإمام يدل على تكامل شخصيته بين الجهاد والاهتمام بالناس والعبادة؛ جاء في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم -رحمه الله- عن محمد بن أعين صاحب ابن المبارك في أسفاره قال: كان ذات ليلة ونحن في غزاة الروم ذهب ليضع رأسه ليريني أنه ينام، فقلت أنا برمحي في يدي قبضت عليه، ووضعت رأسي على الرمح كأنيِّ أنام كذلك، قال: فظن أنيِّ قد نمت، فقام فأخذ في صلاته، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر، وأنا أرمقه فلما طلع الفجر أيقظني وظن أنيِّ نائم، وقال: يا محمد، فقلت: إنِّي لم أنم، قال: فلما سمعها مني ما رأيته بعد ذلك يكلمني ولا ينبسط إليّ في شيء من غزاته كلها؛ كأنه لم يعجبه ذلك مني لما فطنت له من العمل، فلم أزل

---

(١) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٠ ص١٦٨. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٧ ص٦١٢.

أعرفها فيه حتى مات، ولم أرَ رجلاً أسرُّ بالخير منه"[1].

رابعاً- مع محمد بن أسلم الطوسي -رحمه الله-

ومن القوم الذي طارت الأخبار بحرصهم على الإخلاص محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد الخراساني، أبو الحسن الطوسي، الإمام الحافظ القدوة، المتوفى سنة ٢٤٢هـ.

قيل لأحمد بن نصر (ت ٢٤٥هـ): يا أبا عبد الله صلى على محمد بن أسلم ألف ألف ومائة ألف من الناس يقول صالحهم وطالحهم لم نعرف لهذا الرجل نظيراً، فقال: أحمد بن نصر -رحمه الله-: يا قوم أصلحوا سرائركم بينكم وبين الله؛ ألا ترون رجلاً دخل بيته بطوس، فأصلح سره بينه وبين الله، ثم نقله الله إلينا فأصلح الله على يديه ألف ألف ومائة ألف من الناس"[2].

وهذا خادمه محمد بن القاسم الطوسي -رحمه الله- يحكي لنا منهجه في ذلك الإصلاح فيقول: "صحبتُ محمد بن أسلم نيفاً وعشرين سنة لم أره يصلي حيث أراه ركعتين من التطوع إلاّ يوم الجمعة، ولا يسبح ولا يقرأ حيث أراه، ولم يكن أحد أعلم بسره وعلانيته مني. وسمعته يحلف كذا وكذا مرة أن لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي لفعلت ولكن لا أستطيع ذلك خوفاً من الرياء.

---

(١) الرازي، **الجرح والتعديل**، ج١ ص٢٦٦ و٢٦٧.

(٢) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٩ ص٢٤٠-٢٤١.

وكان -رحمه الله- يدخل بيتاً ويغلق بابه ويدخل معه كوزاً من الماء فلم أدرِ ما يصنع حتى سمعت ابناً له صغيراً يبكي بكاءه فنهته أمه، فقلت لها: ما هذا البكاء؟ فقالت: إن أبا الحسن يدخل هذا البيت فيقرأ القرآن ويبكي فيسمعه الصبي فيحكيه، فكان إذا أراد أنٍّ يخرج غسل وجهه واكتحل فلا يرى عليه أثر البكاء.

وكان -رحمه الله- يصل قوماً ويعطيهم ويكسوهم فيبعث إليهم ويقول للرسول: انظر أن لا يعلموا من بعثه إليهم، فيأتيهم هو بالليل فيذهب به إليهم، ويخفي نفسه، فربما بليت ثيابهم ونفد ما عندهم ولا يدرون من الذي أعطاهم[1].

خامساً- قصص متفرقة

قال الإمام ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) في تاريخه: "لما هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض (الغنائم) أقبل رجل بحُق معه -وعاء كبير مملوء من الجوهر والتحف- فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال والذين معه: ما رأينا مثل هذا قط! ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه، فقالوا: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أنٍّ للرجل شأناً، فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليقرظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه. فأتبعوه رجلاً

(١) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج٩ ص٢٤٣. وابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج٤ ص١٢٦-١٢٧. والذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٠ ص١٥٧ الفكر.

حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه؟ فإذا هو عامر بن عبد قيس القيسي الحضرمي أحد عُبّاد التابعين الزهاد، وهو أول من عرف منهم بالنسك بالبصرة ﷺ"[1].

وقال ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في كتابه (عيون الأخبار): "حاصر مسلمة بن عبد الملك (ت ١٢١هـ) حصناً، وكان في ذلك الحصن نقب -أي ثقب في الحائط- فندب الناس إلى دخوله، فما دخله أحد! فجاء رجل من عرض الجيش -أي من عامته غير معروف- فدخله ففتح الله عليه الحصن، فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى: إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلاّ جاء.

فجاء رجل إلى الآذن فقال: استأذن لي على الأمير، فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه، فأتى الآذن إلى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له، فقال الرجل لمسلمة: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً: ألا تسودوا اسمه -أي ألا تكتبوه- في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه من هو؟ أي من أي قبيلة هو، قال مسلمة: فذاك له. قال الرجل: أنا هو.

فكان مسلمة بعد هذه الحادثة لا يصلي صلاة إلاّ قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب"[2].

---

(١) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج٢ ص٤٦٥.

(٢) ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ج١ ص٧٣.

وحكى الصولي أنَّ جعفر بن سليمان قال: غزوتُ مع المعتصم عمورية، فاحتاج الناس إلى الماء، فمدّ لهم المعتصم حياضاً من أدم –أي جلود– عشرة أميال، وساق منها الماء إلى سور عمورية. ويقال: كان في خيله ثمانون ألف أبلق وثمانون ألف أدهم.

وكان رجل من الروم يقوم كل يوم على السور، ويشتم النبي ﷺ بالعربية باسمه ونسبه! فاشتد ذلك على المسلمين، ولم يكن يصل إليه النشاب، قال يعقوب: وكنت أرمي رمياً جيداً، فاعتمدته بنشابة فأصبت نحره، فهوى وكبّر المسلمون، وسُرّ المعتصم وقال: عليّ بالذي رماه، فأُدخلتُ عليه، فقال: من أنت؟ فانتسبت، فقال: الحمد لله الذي جعل ثواب هذا السهم لرجل من أهلي –يعني من بني العباس–.

ثم قال: بعني هذا الثواب، فقلت: يا أمير المؤمنين ليس الثواب مما يباع، فقال: إني أرغبك، فأعطاني مئة ألف درهم، فقلت: ما أبيع ثوابي، فبلغها إلى خمس مئة ألف درهم، فقلت: لا أبيع ثوابي بالدنيا وما فيها، ولكن قد جعلتُ لك –أي وهبت لك– نصف ثوابه –أي ثواب هذا السهم– والله يشهد عليّ بذلك، قال: جزاك الله خيراً قد رضيتُ.

ثم قال: فأين تعلمت الرمي؟ قلت: بالبصرة في داري، فقال: بعنيها، فقلت: وهي وقف على من يتعلم الرمي. فوصلني بمئة ألف درهم.

فلله در ذلك الملك الذي يجهد كل جهده لشراء ثواب هذا السهم، ولله در ذلك الرامي الذي لا يبيع ثواب سهمه بالدنيا وما فيها[1].

---

(١) الحازمي، **زاد المتقين**، ص٤٨-٥٠.

الخاتمة

في ختام هذه الرسالة يؤكد الباحث على ما انطلق منه في البداية من أنَّ الإخلاص أحد أركان قبول العمل عند الله، وأحد أسباب نجاح أي عمل أيضاً في هذه الحياة، وهو مفتاح كل خير، ومن أراد الرفعة في الدنيا والآخرة سواء فرداً كان أو جماعة فلا بد أن يلزم الإخلاص لله ﷻ في كل شاردة وواردة.

كذلك يؤكد الباحث على القارئ الكريم ضرورة أن ينظر مدى التزامه بهذه القيمة في هذه الحياة، وأن لا ينظر إلى غيره ويحاسبهم على قيمة قلبية لا يعلمها إلا الله ﷻ؛ لكن هذا لا يعفي أحداً في المقابل من التذكير لمن حوله بالتزام هذه الخصلة الطيبة، والتي هي أول حق لله على العباد وأعظم ثمرة من ثمراتها الفوز بالجنة والنجاة من النار هدف كل مؤمن وغايته.

هذا ما يسر الله ﷻ به وأعان على كتابته، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله القبول، وأن يخلص هذا العمل من الرياء والسمعة وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يرفع صاحبه ووالديه وأحبابه في عليين... اللهم آمين.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين

المراجـــــع

الأشقر؛ د. عمر سليمان: الإخلاص، عمان: دار النفائس، ط(٥)، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

النيات في العبادات، عمان: دار النفائس، ط(٥)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

الأصفهاني؛ أبو نعيم أحمد بن عبدالله (-٤٣٠هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت: دار الكتب العلمية.

الآلوسي؛ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (-١٢٧٠هـ):

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

البخاري؛ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (-٢٥٦هـ):

التاريخ الكبير، ت. السيد هاشم الندوي، بيروت: دار الفكر.

البنا؛ الإمام حسن عبدالرحمن: مجموعة الرسائل، بيروت: المؤسسة الإسلامية، ط(٣) ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

البوطي؛ د.محمد سعيد رمضان: الحكم العطائية شرح وتعليل، دمشق: دار الفكر، ط(١)١٤٢١هـ.

البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (-٤٥٨هـ):

السنن الكبرى، ت. محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز- مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

شعب الإيمان، ت. زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٤١٠هـ.

الترمذي؛ أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي (-٢٧٩هـ):

السنن، جامع الترمذي، ت. أحمد شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن تيمية؛ أبو العباس أحمد بن عبدالحليم (-٧٢٨هـ): دقائق التفسير، ت. محمد الجليند، دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ط(٢)، ١٤٠٤هـ.

مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن النجدي وولده محمد، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

منهاج السنة، ت. د. محمد رشاد، الرياض: مؤسسة قرطبة، ط(١)، ١٤٠٦هـ.

الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي (-٨١٦هـ):

التعريفات، ت. إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، بيروت، ط(٢)، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

ابن الجوزي؛ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (-٥٩٧هـ):

صفة الصفوة، ت. الفاخوري وقلعجي، بيروت: دار المعرفة، ط(٢)، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

صيد الخاطر، ت. آدم أبو سنينة، بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع- عمان، ط(١)، ١٩٨٧م.

اليواقيت الجوزية في المواعظ النبوية، ت. السيد بن عبد المقصود، مؤسسة الكتب الثقافية، ط(١)، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

الحازمي؛ الشريف إبراهيم بن عبدالله:زاد المتقين، الرياض: دار الشريف، ط(٢)، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

الحاكم النيسابوري؛ أبو عبدالله محمد بن عبدالله (-٤٠٥هـ):المستدرك على الصحيحين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ت. مصطفى عبد القادر عطا.

ابن حبان؛ أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي (-٣٥٤هـ):صحيح ابن حبان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ت. شعيب الأرنؤوط، ط(٢)، ١٤١٤هـ/١٩٩٣.

الحكمي؛ حافظ بن أحمد (-١٣٧٧هـ):معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، الدمام: دار ابن القيم، ط(١)، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

الخطيب البغدادي؛ أبو بكر أحمد بن علي (-٤٦٣هـ):تاريخ بغداد، ت. مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

ابن خزيمة؛ أبو بكر محمد إسحاق بن خزيمة السلمي (-٣١١هـ):صحيح ابن خزيمة، بيروت: المكتب الإسلامي، ت. محمد الأعظمي، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

الدارقطني؛ أبو الحسن علي بن عمر (-٣٨٥هـ):السنن، ت. السبيد عبدالله المدني، بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

الدمشقي؛ عبدالحي بن أحمد العكري الشهير بابن العماد الحنبلي (-١٠٨٩هـ):شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت: دار الكتب العلمية.

الذهبي؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (-٧٤٨هـ):سير أعلام النبلاء، ت. محب الدين أبي سعيد عمر

بن غرامة العمروي، بيروت: دار الفكر، ط(١)، ١٤٨٧هـ/١٩٩٧م. وطبعة مؤسسة الرسالة، ت. الأرناؤوط.
الكبائر، ت. مشهور حسن، الزرقاء: مكتبة المنار، ط(١)، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

الراغب الأصفهاني؛ الحسين بن محمد بن المفضل:مفردات ألفاظ القرآن، ت. صفوان داوودي، دمشق: دار القلم، ط(٢)، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الرازي؛ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس (-٣٢٧هـ):الجرح والتعديل، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط(١)، ١٢٧١هـ/١٩٥٢م.

الرازي؛ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (-٧٢١هـ):مختار الصحاح، ت. محمود خاطر، بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

ابن رجب؛ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي (-٧٩٥هـ):

جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ت. د. يوسف البقاعي، بيروت: المكتبة العصرية، ط(٢)، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ت. د. محمد جميل غازي، ط(١)، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

رضا؛ محمد رشيد:تفسير القرآن الكريم (المنار)، بيروت: دار الفكر.

الزبيدي؛ السيد محمد بن محمد الحسيني (-١٢٠٥هـ):إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.

الزمخشري؛ محمود بن عمر.الفائق في غريب الحديث، ت. علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ط٢.

السبكي؛ تاج الدين بن علي بن عبد الكافي.طبقات الشافعية الكبرى، ت. محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، السعودية: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

السجستاني؛ أبو داود سليمان بن الأشعث (-٢٧٥هـ):السنن (سنن أبي داود)، ت. محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

السلمي؛ عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام (-٦٦٠هـ):قواعد الأحكام في مصالح الأنام، بيروت: المعرفة.

الشوكاني؛ محمد بن علي بن محمد (-١٢٥٠هـ):فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ت. عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، بيروت، ط(١)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

الشيباني؛ أبو عبدالله أحمد بن حنبل (-٢٤١هـ):

١. العلل ومعرفة الرجال، ت. وصي الله بن محمد عباس، بيروت والرياض: المكتب الإسلامي ودار الخاني، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

المسند، القاهرة: مؤسسة قرطبة، القاهرة.

الشيباني؛ أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم (-٢٨٧هـ):الزهد، ت. عبد العلي عبد الحميد، ط(٢) ١٤٠٨، القاهرة: دار الريان.

ابن أبي شيبة؛ أبو بكر عبد الله بن محمد (-٢٣٥هـ):المصنف، ت. كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط(١)، ١٤٠٩هـ.

الصاغري؛ أسعد محمد سعيد:شعب الإيمان، دمشق: دار الكلم الطيب، ط(١)، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الصديق؛ محمد بن علان (-١٠٥٧هـ):دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، بعناية الشيخ خليل مأمون شيحا، بيروت: دار المعرفة، ط(٢)، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

الطبراني؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (-٣٦٠هـ):المعجم الصغير، ت. محمد شكور، بيروت: المكتب الإسلامي، ط(١)، ١٤٠٥/١٩٨٥م.

المعجم الأوسط، القاهرة: دار الحرمين، القاهرة، ت. طارق عوض وعبد المحسن الحسيني، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

المعجم الكبير، ت. حمدي بن عبد المجيد، الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط(٢)، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير (-٣١٠هـ):جامع البيان عن تأويل القرآن، بيروت: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

ابن عادل؛ أبو حفص عمر بن علي (-٨٨٠هـ):اللباب في علوم الكتاب، ت. عادل عبد الموجود وعلي معوض ود. محمد حسن ود. محمد حرب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٤٨٩هـ/١٩٩٨م.

ابن عاشور؛ محمد الطاهر:التحرير والتنوير، طبعة مصرية غير مظهر عليها دار النشر ولا الطبعة ولا أي معلومة سوى اسم الكتاب والمؤلف.

ابن عباد؛ محمد بن إبراهيم بن عباد النفزي الرندي (-٧٩٢هـ):غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، ت. خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

ابن عبد البر؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (-٤٦٣هـ):

جامع بيان العلم وفضله، ت. سعد عبد الحميد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

العثيمين؛ محمد بن صالح (-١٤٢١هـ):القول المفيد على كتاب التوحيد، الرياض: دار ابن الجوزي، ط(٣)، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

ابن عجيبة؛ أحمد بن محمد:إيقاظ الهمم في شرح الحكم، بيروت: دار الفكر.

ابن أبي العز الحنفي؛ صدرالدين علي بن علي بن محمد (-٧٩٢):شرح العقيدة الطحاوية، ت. أحمد محمد شاكر، وزارة الأوقاف السعودية.

العسقلاني؛ أحمد بن علي بن حجر(-٨٥٢):تقريب التهذيب، ت. أبو الأشبال صغير الباكستاني، ط(١)، ١٤١٦هـ.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بعناية محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، القاهرة: دار الريان للتراث، ط(٢)، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

ابن عطية؛ أبو محمد عبد الحق بن غالب (-٥٤٦هـ):المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت. عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط (١)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

العودة؛ الشيخ سلمان:عشرون طريقة للرياء، عن الانترنت موقع الإسلام اليوم.

العفاني؛ د. سيد بن حسين:صلاح الأمّة في علو الهمّة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط(٢)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

أبو غدة؛ عبدالفتاح:صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، ط(٥)، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الغزالي؛ أبو حامد محمد بن محمد (-٥٠٥هـ):إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة.

الفيروزابادي: مجدالدين محمد بن يعقوب:القاموس المحيط، بيروت: دار الجيل.

القاسمي؛ جمال الدين أبو الفرج بن محمد سعيد (-١٣٣٢هـ):محاسن التأويل، ت. محمد باسل السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

ابن قدامة المقدسي؛ أحمد بن عبد الرحمن:مختصر منهاج القاصدين، ت. شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، دمشق:مكتبة دار البيان، بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

القرطبي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (-٦٧١هـ):الجامع لأحكام القرآن، ت. عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط(١)، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

القرضاوي؛ د. يوسف:النية والإخلاص، عمّان: دار الفرقان، ط(١)، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

القشيري؛ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (-٤٦٥هـ):الرسالة القشيرية، ت. خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

قطب؛ سيد:في ظلال القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط(٧)، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

معالم في الطريق، دار الشروق.

ابن القيّم؛ أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (-٧٥١هـ):إعلام الموقعين عن رب العالمين، القاهرة: دار الحديث.

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ت. محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة، ط(٢)، ١٩٧٥م.

بدائع الفوائد، ت. بشير عون، ط(١)، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ت. عبد اللطيف الفواعير، دار الفكر ، ط(١)، ١٩٨٧م.

زاد المعاد في هدي خير العباد، ت. شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط(١٨)، ١٤١٥هـ/ ١٩١٥م.

الفوائد، ت. محمد عثمان، بيروت: دار الكتاب العربي، ط(٤)، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، بدون تاريخ.

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بيروت: دار الفكر.

الوابل الصيب في الكلم الطيب.

ابن كثير؛ عمادالدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (-٧٧٤هـ):تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الخير، ط(١)، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

البداية والنهاية، ت. عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غازي بيضون، بيروت: دار المعرفة، ط(٢)، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ابن ماجه؛ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (-٢٧٥هـ):السنن، ت. محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر.

ابن المبارك؛ عبدالله بن المبارك بن واضح (-١٨١هـ):الزهد، ت. حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: دار الكتب العلمية.

المحاسبي؛ الحارث بن أسد (-٢٤٣هـ):آداب النفوس، ت. عبد القادر أحمد عطا، بيروت: مؤسسة الكتب العلمية، ط(٢)، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

الرعاية لحقوق الله، ت. عبد القادر أحمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(٤)، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

رسالة المسترشدين، ت.عبد الفتاح أبو غدة، ١٤١٧هـ، بيروت: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط(٩)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

مجموعة الوصايا، ت. عبدالقادر أحمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

المسائل في أعمال القلوب والجوارح، ت. خليل عمران المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

مجمع اللغة العربية:المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ورفاقه، استانبول: دار الدعوة.

المناوي؛ محمد بن عبدالرؤوف (-١٠٣١هـ):التوقيف على مهمات التعاريف، ت. د. محمد الداية، بيروت: دار الفكر المعاصر، ط(١)، ١٤١٠هـ.

فيض القدير، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ط(١)، ١٣٥٦هـ.

موسوعة:نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد جماعة من المختصين، بإشراف د. ابن حميد ود. ملوح، جدة: دار الوسيلة، ط(١)، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

النووي؛ أبو زكريا يحيى بن شرف (-٦٧٦هـ):

شرح صحيح مسلم، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

النسائي؛ أبو عبدالرحمن أحمد بن سعيد (-٣٠٣هـ):

السنن، ت. أبو عدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط(٢)، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

السنن الكبرى، ت. البنداري وحسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

النفوسي؛ إسماعيل بن موسى الجيطالي: قناطر الخيرات، خلاف محمود عبد السميع، بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

النيسابوري؛ مسلم بن الحجاج القشيري: الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، ت. محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار الحديث، ط(١)، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

الهيتمي؛ أبو الفضل أحمد بن محمد بن حجر (-٩٧٥هـ): الزواجر عن اقتراف الكبائر، بيروت: المكتبة العصرية، ط(٢)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

الهيثمي؛ نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر (-٨٠٧هـ): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.

أبو يعلى الموصلي؛ أحمد بن علي بن المثنى (-٣٠٧هـ): المسند، ت. حسين أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، ط(١)، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

الـفـهــرس

الإهـداء	٥
المقدمـة	٧
المبحث الأول- معنى الإخلاص والنية	١١
أولاً- تعريف الإخلاص	١١
ثانياً- تعريف النية	١٧
ثالثاً- علاقة النية بالإخلاص	٢٠
رابعاً- الإخلاص والإحسان	٢١
المبحث الثاني- أهمية الإخلاص وثمراته	٢٣
أولاً- أهمية الإخلاص ومكانته	٢٤
ثانياً- ثمرات الإخلاص والنية الصادقة وآثارهما	٤٦
المبحث الثالث- من علامات أهل الإخلاص	٨٥
أولاً- اتهام النفس بالتقصير وعدم العجب وترك تزكية النفس	٨٥
ثانياً- العمل بصمت وإخفاء الأعمال	٩٧
ثالثاً- البعد عن الشهرة	١٠٦
رابعاً- ألا يطلب المدح لنفسه ولا يبخل به عن غيره	١١٥
خامساً- الفرح بكل كفاءة وتشجيع كل فاعل خير	١٢٢
سادساً- الاستمرارية في العمل مهما تقلبت الأحوال	١٢٥
سابعاً- السعي لإرضاء الله لا لإرضاء الناس ولا لإرضاء النفس	١٢٧
ثامناً- الحرص على العمل النافع، وتقديم ما هو أنفع لدينه	١٣٠
تاسعاً- الاستقامة على الدين	١٣٢
المبحث الرابع - مكدرات الإخلاص والنية والصادقة	١٣٤

أولاً- معنى الرياء ١٣٤
ثانياً- خطورة الرياء ١٣٦
ثالثاً- توصيف الرياء وبيان حكمه ١٣٨
رابعاً- هل الرياء كله مذموم ١٤٠
خامساً- عقوبة ترك الإخلاص وقصد غير الله في العمل ١٤٢
سادساً- آثار الرياء على النفس ١٥٣
سابعاً- تصرفات خاطئة لدفع الرياء ١٥٧
المبحث الخامس- دوافع وبواعث الإخلاص والنية الصادقة ١٦٢
أولاً- العلم بالله وبشرعه والعلم بأمراض القلوب وعلاجها ١٦٢
ثانياً- صحبة أهل الإخلاص والصلاح ١٦٤
ثالثاً- قراءة سير السلف الصالح والعلماء في الإخلاص ١٦٦
رابعاً- المجاهدة للنفس بإخفاء الأعمال ودفع الخواطر ١٦٩
خامساً- الدعاء والاستعانة بالله تعالى ١٧١
سادساً- معرفة حقيقة الدنيا والزهد فيها ١٧١
المبحث السادس- صور وقصص لأهل الإخلاص ١٧٣
أولاً- مع عمر ١٧٣
ثانياً- مع زين العابدين علي بن الحسين ١٧٤
ثالثاً- مع ابن المبارك ١٧٦
رابعاً- مع محمد بن أسلم الطوسي ١٧٨
خامساً- قصص متفرقة ١٧٩
الخاتمة ١٨٢
المراجع ١٨٣